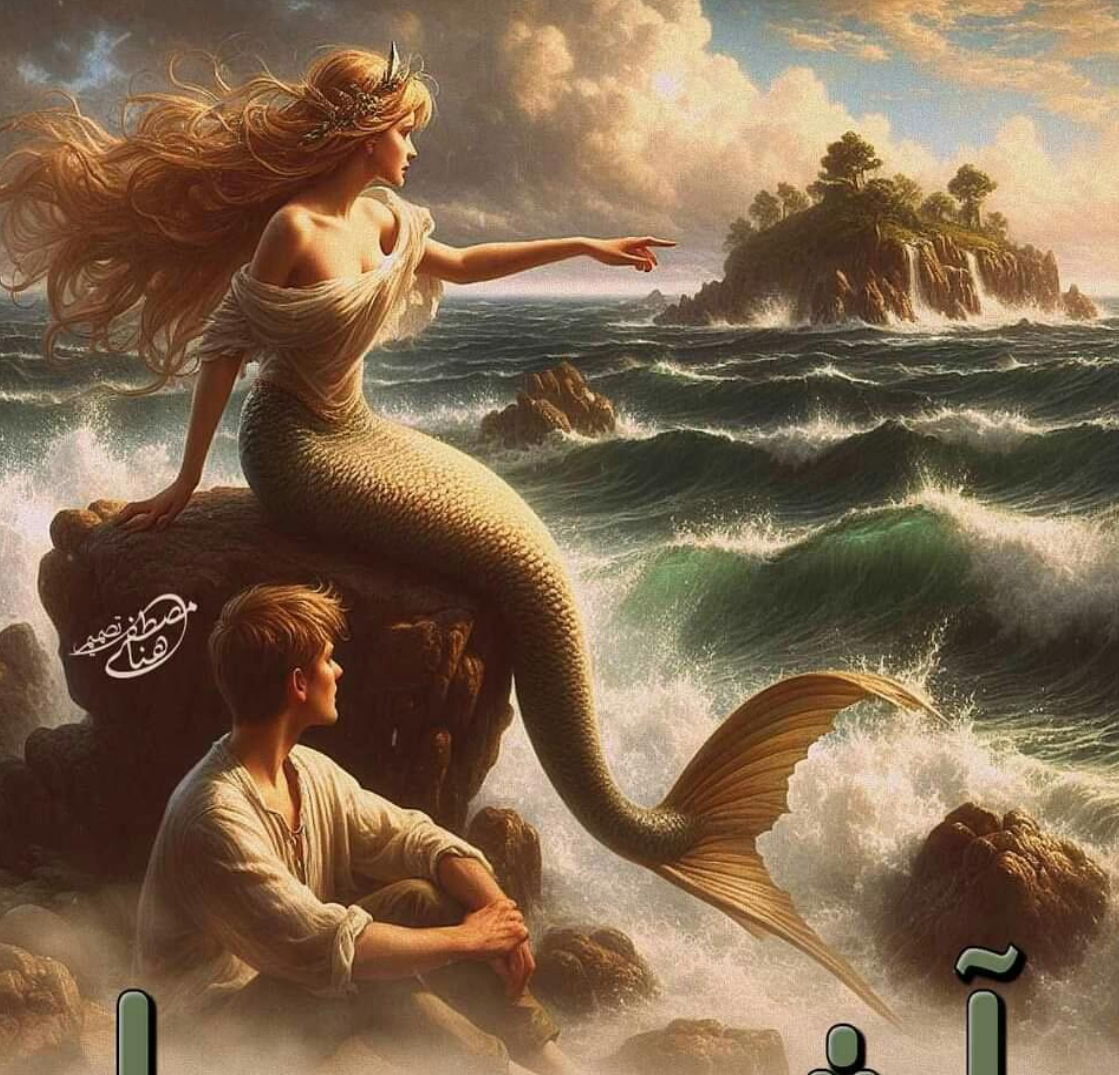

آشري ما

الجزء الثاني من آديل ما

شهيرة عبد الحميد

آشري ما

الجزء الثاني من أديل ما

معلومات الكتاب

نوع العمل: رواية

عنوان العمل: آشري ما (الجزء الثاني من أديل ما)

اسم الكاتب: شهيرة عبد الحميد

تصميم الغلاف: هنا مصطفى

تعبئة و تنسيق: خولة اعبيد

تاريخ الإصدار: 2024

حقوق النشر محفوظة للكاتب©

هذا العمل مقدم من طرف جروب

رشحلي رواية

المقدمة

تتغير قوانين العالم لأجل إرضاء العزيز، ونسجن بعالم مكبلين الروح والجسد بانتظار المعجزة، المعجزة التي ستجمعنا يوماً، وسيشهد العالم عن قصة حب زلزلت لها قلوب البر والبحر.لم يكن هناك عمالقة حقيقية بالعالم من الأساس؛ ولكن هناك من السحر، واللعنات ما جعل هناك عمالقة حقًا، لعنة تنتهي صلاحيتها مع حدوث المستحيل.

عزيزي القارئ عزيزي المتابع

يسعدني ويشرفني متابعتك للجزء الثاني من رواية العملاق "أديل ما"، الذي سبق وعشنا معه تفاصيل، ومشاعر لا تُنسى، مشاعر تمنينا جميعًا أن نلتقي بها ذات يوم، ولكن دعني أوضح لك أن هذه الرواية خيالية مئة بالمئة من خيال الكاتب (اللي هو أنا) وليس بها أي حقائق سوى بعض المعلومات المضافة، وسيكون ذلك الجزء الثاني و الأكثر خيالاً، وحماسًا بإذن الله تعالى. بالجزء الأول تعرفنا على العملاق أديل ما، وحياته القاسية الفارغة المملة. إلى أن وصلنا لمرحلة أرضت الجميع، وهي انتقال دار رعاية الأطفال لجزيرته، ولكن هل تساءلنا ذات يوم مَن هو العملاق أديل ما! وكم عمره، ولماذا يعيش مع قبيلة الرومانيو الذكورية فقط!

كل تلك الأسئلة تدور برؤوسنا جميعًا، وقريبًا جدًا سأروي فضولكم، ونكتشف معًا أسرار العملاق، وماضيه، وأسرار جزيرتهُ المعزولة.

تابعوني ورحلة ممتعة لقرائي الأحباء.

ملحوظة

عزيزي القارئ إن لم تقرأ الجزء الأول بعنوان "العملاق أديل ما"، لن تفهم الجزء الثاني، عليك بمراجعة الجزء الأول والذي لم يأخذ من وقتك أكثر من ساعة أو أقل

"ليا"

حدثتكم ذات مرة عن جمال وروعة الجزيرة وتناسقها، فكيف لي أن أعبر الآن عن مدى روعتها بعد أن تداخل بها أصوات الصغار وضحكاتهم !لقد بثت الحياة بالجزيرة لأول مرة، وبث الأمان بقلبي معهم. الحياة على جزيرة أديل ما أو "الجزيرة السحرية كما يطلقون عليها الصغار" كان لها هدفًا آخر بعيدًا عن كونها حياة سعيدة ذات إنجازات وأملاك وشهادات فقط. لقد احتمينا به، ووجدننا مرسانا، ليست مجرد حماية وأمان من العملاق فقط، لقد وجدنا أب لنا جميعًا، وحباً لم نعهده من قبل. تعاهدنا جميعًا أن نكن قلبًا واحدًا وأسرة كبيرة لم نفرق بين بعضنا البعض أبدًا. عندما انظر لتشابهنا في الحياة، أجد أننا قد تشابهنا في اليُتم والفقد الأسري. جميعنا أيتام، وتجمعنا على أرض الأبوة والعطاء نفسها.

قديمًا أخبرتني أحدى صديقاتي أن من تتزوج وتنجب بجانب عائلتها، تقل المسؤولية كثيرًا عنها بعناء الأمومة. لكن عندما أنجبت "ما"، أسهو بعض الأحيان أنني أنجبت بالأساس وأصبحت أم؛ لأنني لا أراه ولا أحمله ولا حتى ينام بجانبي. فهو دائمًا وأبدًا مع صديقهُ الأول منذ تكوينه "أديل ما." كنت اعتقد أنني سآخذ بعض الوقت لجعله لا يخاف من اديل ما مثل الصغار، لكنني تفاجت أنه يعرفه ويعرف صوته، بل لا يهدأ

سوى على كفيه وهو عمره لا يتجاوز الأيام. أيقنت حينها أن الأطفال برحم الأمهات تسمع وتتعرف على مَن يجاورهم تلك المدة حقًا. الحب بينهم خُلق فطري وهذا ما أسعدني كثيرًا بقدر ما افتقد تعلق طفلي بي، لكني افخر كثيرًا أن لديه قدوة حسنة مثل ذلك العملاق. نسيت أن اروي لكم ما حدث بأول ليلة للصغار على الجزيرة.

.....فلاش باك.....

عندما قام بحملنا اديل ما أنا وصغيري وغيث بين كفيه في البداية اعتقد الصغار أنه يأكلنا أو ما شابه من الخيالات الطفولية لهم. تعالت أصوات صراخهم ومنهم من توقف تمامًا خوفًا من أن يأكلهم هما أيضًا. لكنني عندما لوحت لهم بفرحة أنا وغيث وأشرنا لهم بالمجئ، قاموا الأطفال الأكبر سنًا بين الست وعشر أعوام بتسلل القارب وركضوا يتسلقون العملاق بفرحة عارمة، وكأنه شخصية كرتونية قد خرجت لهم من عالم ديزني. كانت تلك المرة الأولى التي أرى بها ضحكة اديل ما واستمع لصوتها. كم كان مشهد رائع يجلب الدموع السعيدة بالأعين

عندما رأى الأطفال الأصغر سنًا ذلك المشهد توقفوا جميعًا عن البكاء وساعدهم المشرفون بالنزول من القارب واقتربوا منه يريدون أن يحملهم مثلما يحملنا. اكتشفوا وانتشروا بالجزيرة في جميع أنحاءها واستقلوا البيوت الخشبية كمنزل خاص لكل طفل قادر على الاستقلال بذاته كمنزل

صغير خاص به وأيضًا المشرفون الذين اعتقدت أنهم قد يرحلون حيثما جاءوا، جلبوا صغارهم وعائلتهم واستقروا بالجزيرة معنا وأصبحت الجزيرة اكبر جزيرة سياحية على الإطلاق، وأطلق علينا الجزر المحيطة (بجزيرة البراءة) منذ تحركنا بقارب الأطفال أمامهم لا اعلم ذلك الاسم بسبب براءة الأطفال الذين يسكنوها الآن، ولا أن كلمة براءة تعني أن الجزيرة بريئة من كل الإشاعات التي عُرفت بها قديمًا، وليكن فقط تحقق حلمي وحلم كل طفل.

ومنذ ذلك اليوم بدلًا من كان يشكو العملاق "اديل ما" الوحدة والفراغ بجزيرتهُ، بات اليوم لا يعرف يتحرك من كثرة الأطفال العالقون بجسده في كل مكان. حتى أنه بدء باستخدام جيوب ردائه الطويل بوضع بعض الأطفال بهم كي يتحرك بسهولة. كل هذا الحب من الصغار لا يعني شيئًا بجانب تعلق وحب "ما" الصغير لصديقه اللطيف. حتى أنه يقوم بارتداء بالطو من اللون الأسود جعلني أقوم بصُنعه خصيصًا كي يشبه العملاق في كل شيء، ويرتديه فوق كل ملابسه بسبب وبدون سبب.

أما عن قبيلة صيادين الرومانيو فقط أصبحوا اقرب الأصدقاء المقربين للصغار، وكل طفل منهم قد اصطفى صيادًا له وجعله صديقه المقرب وحيوانه الأليف أيضًا، حتى غيث فعل ذلك مع الصياد الذي قام باختطافي، وكأنه سعيد بذلك الفعل منه. بالطبع لن أنسى أن أحدثكم عن عزيزي "غيث" لا يقل انبهار غيث بالعملاق والجزيرة عن انبهار

الأطفال تمامًا. وبرغم أنه لا يؤمن بأي شيء إلا بوجود أسباب واقعية حاسمة، إلا أن كلمات العملاق بالنسبة له تعني الحقيقة الأولى والأخيرة، ولا شك في ذلك الأسطورة كما يطلق عليه.

في بداية اختطافي كنت في بداية زواجي من غيث وتغيبت عنه لمدة تقارب السنة، فعندما عُدنا للجزيرة معًا، بدأت قصتنا هنا.

لقد أحببته من جديد وتعرفت على زوجي لأول مرة، ولأول مرة اكتشف كم هو رجلًا عظيمًا بهذا القدر ومدى حبه ووفاءه لي حتى في غيابي. كنت اعتقد بالماضي أنني الفتاة الأسوء حظًا على الإطلاق، حتى أيقنت أن الله لا يأخذ إلا ليعطي أكثر مما نريد. وأنني الآن بمكان لم يكن حتى بأحلامي، مع زوجي وعائلتي بالأرض البريئة. في هذه الرقعة السحرية من العالم، رقعة لا تحمل غير الحب والود والمساعدة والحنان قبل كل شيء. أخبرني من قبل "اديل ما" أن لديه هبات أخرى لا يمكنه الفصح عنهم جميعًا، وأن للجزيرة أسرار عدة، حتى هو لم يكتشف جميعها إلى الآن. في الماضي كان لسبب حزنه وبغض الحياة كلها ليست الجزيرة فقط، لكن الآن هو يحب الحياة ويحب الجزيرة، ويحبنا أكثر . وأخيرًا بدء بالفعل اكتشاف جزيرته معنا أو في الحقيقة مع "ما" الصغير فقط. لقد مر ثلاث سنوات على تواجدنا بالجزيرة الآن، ثلاث سنوات يبث العملاق علمهُ وحبه بداخلنا جميعًا، حتى أن.

توقفت "ليا" عن كتابة مذكراتها بالغابة لتجد "ما" الصغير يأتي لها من بعيد يلوح بكفيه الصغيرين بالهواء صائحًا بسعادة وحماس:

_لـــيـــا، ليا انظري، لقد حصلت على هذا.

وضعت وجهها بين كفيها وهي تضحك بخيبة على نداءه لها باسمها وليس بكلمة "ماما "التي تفتقدها كثيرًا بسبب ذلك العنيد الصغير لتستقبله بقبلة على وجههُ المكتنز مردفة :

_لقد أفسدت خلوتي أيها المشاغب اللطيف، أرني ما الذي حصلت عليه !

ففتح كفيه لتجد حجر باللون الزمردي الأخضر، فنظرت له بتمعن أكثر لتتفاجئ بوجود حروف نوبية مثل اللؤلؤ تظهر بداخله مصغرة جدًا، تظهر وتختفي مع حركة الضوء عليه فقالت في ذهول :

_من أين حصلت على هذا ؟

فقال في حماس مشاورًا تجاه الشاطئ :

_هناك، بجانب صخرتي.

فحاولت أخذ الحجر من "ما" لكنه صرخ مشاكسًا وهرب منها قائلًا:

_لا هذا اكتشافي، سيحب "أديل ما" ذلك كثيرًا.

لم تكن هذه النهاية بالطبع، بل كانت بداية لعلامات تم اكتشافها على يد الصغير.

***

"بعد مرور 12 عام"

ذات ليلة شتوية شديدة البرودة، مصحوبة بالبرق والأمطار التي جعلت لون العُشب وأوراق الأشجار تبدو أكثر روعة، كأنها تنفست واستبدلت لباسها بلباسٍ جديد متألق يجلسان معًا أمام الحطب المشتعل يستمدون منه الدفء ملتفون بأغطية قماشية سميكة تغطي رأسهم حتى كعوب أقدامهم يختلسون بعض الوقت سرقة معًا بتداعي كلٍ منهم أن تلك الجلسة تحدث يوميًا قبل شروق الصباح صدفة بينهم

تنظر هي حولها بكل براءة بعيونها الضيقة ذات اللون العسلي قائلة بحنين :

_لقد عوضنا الله كثيرًا بذلك العملاق حقًا، أشعر بطمأنينة تجتاحني منذ مجيئي هنا.

ليبتسم هو مغيرًا تجاه الحديث :

_معكِ حق، ولكن تعتقدين أنه مكتفي بنا حقًا، أم ينقصهُ شيء غيرنا؟

لتردف هي بتأكيد :

_بالطبع مكتفي بنا، ذات ليلة قالت ماما "ليا" أن قبل وصولنا للجزيرة وظهورها بحياة العملاق، أن كل ما كان يحتاج له هو الونس والحب وبالفعل تحقق ذلك وجميعنا هنا نحبه ومعه دائمًا

نظر لها بحب كم هي رقيقة وأفكارها بريئة مثلها لم تتغير مع مرور السنين، ليقول بتساؤل :

_إذن دعيني أسألك سؤال بشكل مختلف ربما تختلف الإجابة وتتفهميني

_تفضل

_إذا كنتِ بدار رعاية الآن، ما الذي كان سينقصك؟

حاولت أن تضع نفسها بالموقف، قائلة بحزن يبدو على ملامحها الجميلة :

_الأمان، كنت سأشعر أنني غير آمنة، أحتاج لمشاعر الأبوة وأنني مسؤولة مسؤولية كاملة من أحدهم، يرعانِي، ويُقبض قلبهُ لأجلي.

ليستكمل هو بكل ذكاء محاول إخراجها من التفكير السلبي بمهارة كعادتهُ :

_إذًا نفترض أن تلك الجزيرة كانت كلها عمالقة فقط صالحين مثل "أديل ما" وجئتي لهنا وتعايشتي بين عمالقة فقط وتم تعويضك بالفعل عن الأمان والأبوة، هل كنتِ ستكتفي بهم؟

فأجابت بدون تفكير، وكأن الكلمة انزلقت منها مرغمة :

_كنت سأحتاجك

ابتسم ابتسامة عريضة من تلك الكلمة الغير متوقعة منها، لتنظر له بتوتر مترجمة ما قالته للتو، وعيناها تتحرك بسرعة حولها محاولة إخفاء خجلها وما قالته ولكنه بارع باحتوائها في كل اللحظات، هي صديقته

وابنته التي نشأت أمام عينه، بل بين يديه هي نيرة، الطفلة البكاءة ذات المشاعر المتخالطة دائمًا والذي اعتاد مجاورتها بحجة أنه المسؤول عنها منذ الصغر، بالطبع الفارق بين أعمارهم ليس إلا خمسة أعوام فقط، لكنه يشعر بأنها مسؤولة منه هو، هو فقط أردف بجدية بعدما كان قد وصل لمبتغاه الحقيقي:

_هذا ما أردت الوصول إليه، أن برغم الونس الذي قدمناه للعملاق وتواجدنا معه على الجزيرة، وبرغم شعور الأمان الذي اهداهُ لنا، إلا سيظل هناك بعض المشاعر الناقصة لدينا، لا يمكن أن نكتفي بطرف واحد فقط، لابد وحتمًا من تجربة بقية المشاعر، أفهمتي؟

لتفهم هي معني حديثه أخيرًا قائلة بتفكير وكأنها تذكرت شيئاً ما فجأة :

_نعم، نعممم، لقد فهمتك، أنت محق جدًا الحقيقة، ولكن تعتقد إذا سألناهُ عن ما ينقصه ويريده سيقول هكذا بكل سهولة؟

_بالطبع لا "ما الكبير" كتوم بشكل جيد، سيمدحنا ف النهاية ويقول انهُ مكتفي بنا وبوجودنا حولهُ

فضحكت بعفوية متسائلة ذلك السؤال الذي يراودها دائمًا :

_قل لي ما سبب تسمية العملاق ب "ما الكبير" وتسميتك أنت ب "ما الصغير " هذا شيء مضحك جدًا

فضحك هو متذكرًا جميع ذكرياته الطفولية مع عملاقه العزيز قائلًا :

_لقد ذكرتيني بمعاناة كبيرة واجهناها معاً، فكل ما يقوم أحد بنداء العملاق أقوم أنا بالرد بدلاً عنه وهكذا هو، بسبب أننا نمتلك نفس الاسم، حتى قامت "ليا" بتصنيفنا ما الصغير وما الكبير؛ لئلا نخطئ ثانية

قهقهت معهُ على تلك الذكريات الجميلة متسائلة مرة أخري :

_متى ستقول لوالدتك ماما ليا وليست "ليا" فقط

نحن أطفال الدار جميعنا نقول لها ماما إلا أنت نجلها الوحيد، وعاق

ليضحك أكثر وأكثر قائلًا بمشاكسة :

_التميز سر وسامتي، ترضين أخسر وسامتي؟

لتتسحب "ليا" من خلفهُ تصفعه على كتفه بمشاكسة أكبر وكأنها أمسكت باللص في الحال قائلة :

_وسامتك هذه سأعيد تشكيلها بنفسي إن لم تنتهي من اختطاف تلك البريئة معك كل يوم بوسط الغابة هكذا

ليرد هو مدعيًا الظلم والحزن :

_أنت لستُ أمي، دائما تقومين اتهامي بالباطل وتلك البريئة التي أمامك هي من تختطفني كل ليلة، وأنا رجل مطيع أقوم بالاختطاف بكل صمت وهدوء

لتضحك نيرة وليا على أدائهُ الرائع في التمثيل وتحمل ليا نيرة بغطائها كما هي قائلة له وهي مستدرية بظهرها عائدة لكوخها :

_ليلة دافئة يا عزيزي، لا تنسي أن تطفئ الحطب أيها الدنجوان، وطفلتك معي لن تحصل عليها مرة أخري إلا عندما تتخلص من وسامتك سر سعادتك، طابت ليلتك

وتذهب هي حاملة نيرة ذات العشر سنوات تاركة "ما " خلفها ينفجر غيظًا، فهي كل ليلة تأخذها منه بنفس هذه الطريقة وتحرمهُ من السهر، ومن صديقته، كي يقوم بانضباط مواعيد نومه الثقيل جدًا

إنها الأمهات ...

قام ما الصغير صاحب الخمسة عشر عامًا بإطفاء الحطب على ضجر مما فعلته أمه، وذهب لكوخه وهو يضرب بقدمه كل الأحجار على الأرض بغضب، فبرغم من جلسته مع نيرة الصغيرة التي تتكرر شبه يومي، إلا أن أسوء لحظات يومه عندما تأتي ليا وتأخذها منه كل يوم أيضًا بنفس الميعاد وأثناء سيره وركله للأرض، لمعت أحد الأحجار، وهي تبتعد نتيجة ركله القوية، ولكن ضيها هو يعرفه جيدًا ركض خلف الحجر والتقطهُ من الأرض، نعم هو، هو نفس الحجر الذي وجد مثله وهو صغير، الحجر الذي يحتوي على أحرف لغة غريبة هو لا يفهمها، ولكن هذه المرة الحروف مختلفة وأقل، ف أول حجر وجده كان مكون من أربعة حروف، وهذا ثلاثة فقط نظر به بتمعن، وتداخل أفكار عدة برأسه، أهمها أنه قد وجد موضوع جديد مهم وشيق سيقوله غدًا لصغيرته نيرة أثناء عزلتهم بالغابة، عاد لكوخه وهو في شدة سعادته، مخبئ

الحجر بجيب بنطاله، منتظر يوم جديد، أو بالتحديد، نهاية يوم جديد حتى يلقاها...

"يوم جديد"

صباح يوم جديد، يستيقظ به الجميع على تفاؤل وحماس، مستعدين لأعمالهم اليومية بكل شغف وحيوية، فهنا على تلك الجزيرة، برغم من عدم وجود الإلكترونيات، وكان ذلك باختيارهم الشخصي، إلا أن لا هناك وقت للفراغ أو الملل الذي يصيبنا نحن عندما يغلق الواي فاي، فهناك لكل فرد عمل مسؤول منه، حتى لو كان عمره خمسة سنين فقط، يولوهم مسؤوليات مسلية وبسيطة حتى يعتادون المسؤولية منذ الصغر، ويعتمد عليهم عند إتمامهم العشرة أعوام، حيث يتم تسليم كل طفل جديد يأتي للملجئ، لمن تم عمره العشرة أعوام، حيث يبدأ بشعور الأبوة أو الأمومة مبكرًا، وممارستها على أطفال الدار، فيكبرون وتكبر بهم العاطفة وخوفهم وحبهم لبعضهم البعض، مثلما تولي ما الصغير مسؤولية نيرة عندما كانت خمسة أعوام، وتعلق بمحاوطتها دائمًا هكذا هي الحياة على جزيرة أديل ما، هكذا تم النظام والذي نجح ببراعة من أول تجربة

أستيقظ ما بكل حماس، ناظرًا لأشعة الشمس التي تتداخل له من خلال نافذة كوخهُ البسيط، مستنشقًا هواء يومهُ الجديد باستمتاع، ثم يضع يده على جيب بنطاله للتأكد من وجود الحجر الذي قد وجده بالأمس، فيجده ويطمئن على حديث نهاية اليوم الذي من المؤكد سيكون حماسي لقلب طفلته كثيرًا، فطالما حكي لها عن ذلك الحجر الأول الذي وجده وهو

صغير، وتمنت أنها تري ذلك الحجر، ولكن العملاق أديل ما كان قد أخذه منه وأخفاه، وكلما تساءل عنه أجابهُ أنه لا يتذكر مكانه، وأنه شي لا يستدعي كل هذا الاهتمام، حتى نسوا الأمر جميعهم

***

وبغرفة واسعة، تحتوي على طاولات صغيرة عدة داخل كهف العملاق، تقف أيقونة الحنان، والأم، والمعلمة أيضًا (ليا) حيث تقوم بشرح فوائد كل عشب وكيفية التعامل معه واستخلاص فوائده كما علمها العملاق سابقًا، وهذه المرة يجلس العملاق يتفقد بعينه حركة كل طفل وكيفية التعامل مع عينات الأعشاب على الطاولات أمامهم، وليا تقوم بالشرح المبسط لهم، وتدعهم يكتشفون مهاراتهم بنفسهم، فطرق ما الصغير الباب، معتذرًا على تأخره، وجلس خلف طاولة من الطاولات يتابع حديث ليا، ويختطف بعض النظرات خلسة لصديقته الصغيرة التي تجلس على بعد طاولتين عنهُ منشغلة بتجربتها، فهي لديها ذكاء طفولي كبير، يجعلك تشعر انك تجالس أنثى حكيمة وليست طفلة العشر سنوات فقط

أنتهي درس الاكتشاف العشبي، وقاموا الأطفال جميعهم بالخروج واحد تلو الآخر، ومن بينهم ما الذي ينتظر خروجها ليبلغها أن هناك موضوعً هام يريدها لأجله الليلة، لكنها لم تخرج من الغرفة، وظلت جالسة تتفحص تلك العشبة الجديدة عليها، فهي عشبة باللون البنفسجي طولها حوالي ٣٠ سم وتسمى بعشبة القنفذية

لم يستعجب العملاق أديل ما و ليا من خروج جميع الأطفال إلا هي، فالمعروف عن نيرة الصغيرة تدقيقها العالي بكل الأشياء، فأخذت نيرة عشبتها بيدها ووقفت أمام العملاق أديل ما متسائلة بحيرة :

_عشبة مهمة مثل هذه لماذا لم نسمع عنها وغير منتشرة مثل باقي الأعشاب ؟ فهي تعالج كثير من الأمراض وأهمها تحسين الصحة العقلية، وزيادة التركيز والانتباه، وحتى فرط الحركة والنشاط، وتساعد على التخلص من الاكتئاب والقلق، والكثير من الأمراض !

ابتسمت ليا على حفظها السريع لكلامها، ونظرت للعملاق بأن يجيبها بنفسه، فدائمًا تشعر ليا أن هذه الصغيرة تسأل عن أشياء تسبق عمرها فأجابها العملاق كأنه يحدث شخص ناضج:

_لأن موطن هذه النبتة الأصلي يعود للولايات المتحدة الأمريكية وكما أن لها أضرار عديدة إذا تم استخدامها بشكل شخصي مستمر، غير الأعشاب الأساسية التي نستخدمها شبه يوميًا كمشاريب دافئة مثل الينسون والنعناع والزنجبيل، لذلك لن تجدي تلك النبتة بمفردها هكذا دون إدخالها بمستحضرات طبية

فهمت نيرة حديثه وشكرته على هذه المعلومات، وهمت بالخروج من الغرفة، لتجد صديقها "ما" بانتظارها، يقف مستندًا على جزع شجرة، وما إن رآها أسرع إليها ولكن هنا كانت سبقته صديقة نيرة المقربة من الفتيات وهي نور، والتي تعتبرها نيرة شقيقتها الروحية، لتشابه

شخصياتهم الكبير، وحتى أعمارهم المتساوية، ف نور تبلغ من العمر عشرة سنوات أيضًا ولكن الاختلاف الوحيد بينهم هو اهتماماتهم، ف نيرة تهتم بالأعشاب وكل ما يخص الطبيعة، ونور تهتم بالاستكشافات الغامضة أكثر

صدمتها نور بظهورها المفاجئ ووقف "ما" بجوارهم صامتًا على أمل انصراف نور بسرعة

نور: نيرة، لا تصدقي ما سأقوله

نيرة: من المؤكد اكتشاف جديد

نور: لا شيء غريب وجلى جدًا

نيرة: ما هو

نظرت نور بنظرات تردد ل "ما" الواقف أمامهم، وأجابت

نور: سأتي إليكِ بالمساء في كوخك، ونتحدث بخصوصية أكثر

ثم انصرفت تحت نظرات "ما" البوليسية لها، ليردف بثقة :

_من المؤكد ستقولين لي في المساء ماذا كانت تريد تلك اللئيمة

ثم أكمل بنبرة تهديد :

_وإلا سأبلغ إدارة الدار بعصيان الطفلة التي ولتني الإدارة رعايتها، صحيح يا صغيرتي؟

ابتسمت نيرة بخبث مغيرة مسار الحديث :

_لماذا تقف هكذا وتنتظرني؟

فقال بتلعثم :

_احمم في الحقيقة أنا مثل نور

فنظرت له بصدمة ليستكمل هو قبل أن تسئ فهمه :

_اقصد يعني، أريدك في موضوع هام وجّلي مثلها

_ما هو؟

_لا، لا يصلح هنا أبدًا، ستخرج "ليا" الآن وتقوم باختطافك إن رأتني أقف معك، سأنتظرك بالغابة مساءًا، حسنًا !

وقبل أن تجيب بالموافقة أجاب هو:

_كنت متأكد من الموافقة، إلي اللقاء

وذهب سريعًا من أمامها لتقف هي تضحك من ذلك القدوة المختل الذي من نصيبها أن يكون مسؤولاً عنها، ثم انصرفت لتستكمل مهام اليوم لديها قبل أن تصطدم بـــإلياس صديق "ما" المقرب والذي يبلغ عمرهُ ١٧ عام

سألها على عجلة من أمرهُ:

_أين ما؟

فأشارت له بيدها :

_أنصرف من هنا قبل قليل

فتردد إلياس قليلًا من الذهاب خلفه قائلًا:

_هل رأيتي نور اليوم؟ أو قالت لكِ أي شيء؟

فتعجبت منه نيرة، فكيف يسأل عن نور وهو أكثر من يلازمها يومها ومسؤول عنها بالجزيرة، فطالعته بغرابة من توتر كلامه :

_هل هناك أزمة أو مشكلة؟

_لا، لا أبدًا

أجابها بنفس التوتر الجلي على مظهره، لتحرك نيرة كتفيها بعدم فهم، وتنصرف وهي تتعجب من أسلوب الجميع اليوم، فمرة نور تخبرها أنها تريدها، ومرة أخري ما، وأخيرًا إلياس بحديثه الغريب، نفضت كل الأفكار وتبعت طريقها، وهي تعلم أن كل شيء سيتضح بالمساء أكثر .

***

وبغرفة أخرى حيث تقف أيقونة الحنان، تنظر لكل ما يحدث عن بُعد، وتتابع حركة أطفالها الكثير على الجزيرة بكل حب وانتصار، فهذه الشرفة ذاتها التي قامت بالهروب منها أول مرة، و نُزفت قدمها، الآن تقف بها بكل أريحية وحب، تشاهد عالمها التي صنعتهُ لنفسها ولتلك الصغار

ليأتي من خلفها من يتسحب على أنامله، ويستغل شرودها من النافذة؛ ليقف بجانبها دون أن تشعر مردفًا:

_لم اشتاق إليكِ إطلاقًا

تفاجئت به وبصوتهُ الذي انتظرته كثيرًا، لتنظر له بذهول غير مصدقة:

_غيثي، جئت متى؟

_اسمها متى جئت يا معلمة الصغار يا قدوة، أوحشتي قلبي

أخذت تضحك غير مصدقة ذلك المختل الأكبر الذي أنجبت منه نسخة مستنسخة صغيرة، لتنظر له بحب وحنان لم يتغير أبدًا على مر السنين، محتضناه بخفة :

_اشتقت لك كثيرًا أيها المشاغب الكبير

ثم أكملت بنبرة حزينة قليلًا :

_لكني حزينة منك جدًا، قلت انك ستغيب أربعة أيام فقط، وتغيبت أسبوع كامل دون أن أعرف عنك شيء، هل يصح ذلك؟

_سامحيني عزيزتي، لقد أخذ مني العمل وقت اكبر مما توقعت، وحاولت الوصول لكِ كي أخبرك لكني فشلت كالعادة، فأنتي مانعة تمامًا وجود أي هاتف على الجزيرة

_أنا لا أمانع، فقط هذه رغبة الصغار أنت تعلم، ولا أريد مخالفة رغبتهم أبدًا، فجميعهم كلامهم أوامر

_كم هم محظوظين بكل هذا الحنان، ليتني طفل دار مثلهم؛ لأنال كل هذا الحب، أو ليتني مثل الجميع

طالعته بحب مردفة بين خجلها الظاهر على ملامحها البريئة:

_أنت طفلي الأول يا غيثي، واختياري الصحيح بين كل أخطائي، وزوجي الوفي، وأبي الحنون الذي بوجوده أطمئن، أنت كل الألقاب وكل الناس بالنسبة لي، ليت الجميع مثلك أنت، وليس ليتك مثل الجميع

وضع يده على صدره قائلا بحب ومشاكسة:

_اااه على قلبي الذي أعتاد النصب والاحتيال منكِ، دومًا أنت هكذا قادرة على سلب قلبي مني بكلمة واحدة، ولكن حسنًا سأتقبل هذا النصب هذه المرة أيضًا لأنه يروق لي كثيرًا، أخبريني إذًا ما أحوال صغيرنا المشاغب وما الجديد بالجزيرة؟

_الجزيرة كل شيء على ما يرام لا انحراف أو تغيير، فقط الانحراف كله يكمن بصغيرك المشاغب هذا

ضحك بشدة على حديثها؛ فهو يعلم أن ذلك الصغير حقًا مستنسخ من طفولتهُ؛ ليقول متنمرًا:

_ماذا فعل ملاكي اللطيف؟

_قل ماذا لم يفعله، حقًا لقد ربيت أطفال كثيرة، لكنني لم أرى مثله أبدًا، وكل أفعاله شيء، وأفعاله مع نيرة شيء آخر

أنتبه غيث جيدًا عندما جاءت سيرة نيرة متسائلًا:

_هل اشتكت منه أو حدث شيء؟

تحدثت بقليل من القلق والتوتر:

_المشكلة أنها لا تشتكي، هذه الصغيرة رقيقة جدًا واعتادت جنون صغيرك عليها، ولكن المقلق حقًا أنه بعُمر المراهقة، ولا أريد مثل تلك المشاعر تسيطر عليه، ف بالنهاية نيرة طفلة، ولا يجب فتح عيناهم على مثل هذه الأشياء مبكرًا، وإن حدث ذلك؛ سيكون من أولى العقبات التي

ستظهر دومًا بين الأطفال على الجزيرة، وربما يحدث مشكلات وتتناثر الأقاويل عن الدار

وضع كفه على يدها المسنودة على النافذة محاول طمأنتها:

_معكِ حق بالطبع يا عزيزتي، أعدك سأتحدث معه، وأعرف إلي أين مشاعره تسوقه تجاه نيرة، وإذا كان هناك أي انجذاب من أي نوع سنفصل بينهم بأي شكل، لا تقلقي فقط هذا السن يحتاج العقل والتصرف بحكمة، أنا بجانبك ولا شي يدعو للقلق أبدًا

وضعت يدها الثانية على يده الحنونة، قائلة بامتنان

_شكرًا لك يا غيثي، شكرًا أنك هنا

قبل رأسها بحب وقبل أن يتحدث ويقول ما كان ينوي فتحه من البداية، دق باب الغرفة عليهم بشدة وكأن هناك من يكسر الباب عليهم ويقتحم؛ ليأتي صوت صراخ ونحيب لطفل مذعور بالخارج قائلًا.. تقي ماتت...

***

هُرعت ليا وغيث وفتحت الباب للصغير سُليمان الذي يبكي ويصرخ بشده ومن حولهُ يجتمع بعض الأطفال الذين يظهر الخوف والفزع علي ملامحهم البريئة، لتحمل ليا الصغير سُليمان ذو السبع أعوام مهدئةً لهُ ومستفهمة منه:

_ ما الذي حدث؟ ماذا بها تقي وأين هي؟

اخذ يرتعش ويقول بصوت يملؤهُ الخوف:

_قتلتها، ماتت بسببي، لم اقصد هذا.

نظرت ليا لغيث وقلبها ينتفض من كلمات الصغير، فهي لا تعرف هل تصدقه أمّ هناك شيء غير معلوم، ليأخذ منها غيث سليمان قائلًا:

_ سُليمان أخبرني أين هي تقي، أو قودني إليها.

ووضعهُ علي الأرض لينطلق ركضًا ومن خلفهُ البقية

ليا وغيث وبعض الأطفال الذين شاهدوا الموقف، وفضولهم يقودهم لرؤية الجريمة الأولي علي الجزيرة

وصل الصغير سُليمان أمام كوخ تقي المربية الخاصة به والتي تبلغ من العمر ١٨ عام، وقف يرتعش أمام الكوخ ولم يدخل، ودموعه تتسابق علي وجنتيه الحمرواتين، ينظر بضعف للجميع؛ خوفًا من العقاب الذي سيناله علي تلك الجريمة التي فعلها

دلف غيث اولًا وخلفه ليا بخطوات تردد وانقباض يحتل قلوبهم، ليصدر باب الكوخ صريرًا أشبه بمشهد دموي لفيلم أجنبي، دفنت ليا رأسها ب ظهر زوجها خائفة من مشاهدة هذا المشهد الغير موجود بالأساس، فتش غيث الكوخ بعينه ولم يجد أي شيء على الإطلاق، لا جريمة، لا دماء، ولا حتى وجود لتقى!

فقال بنبرة عالية حائرًا:

_ أين هي يا سُليمان، أأنت متأكد مما قلته؟

فدخل سليمان يفتش هو أيضًا وهو يقف بمنتصف الكوخ قائلًا ببراءة:

_كانت هنا، لقد أطعمتها تفاحة الساحرة الشريرة، وتوفت بالحال أمام عيني

فنظر غيث لزوجته التي كانت تدفن رأسها به خوفًا منذ قليل ليجدها تدفنها وتهتز ضاحكة علي هذه المواقف الساخرة التي تقع بها يوميًا وسط الصغار، فيضع كفه علي رأسهُ وهو ولا يعرف هل ينهر الصغير لفزعهم، أو ينهر سخافة تقي مع الصغير الذي صدقها!

ليجدون صوتًا يأتي بالخارج مناديًا:

_سُليمااان، أنت هنا؟

لتدلف للغرفة وتتفاجئ من وجود الجميع بكوخها، وسُليمان يقف يمسح دموعهُ أمامهم متفاجئ من وجودها حيه أمامه

فتنحنحت بحرج وهي تتقدم أمامهم وتحتضن سُليمان من بينهم قائلة:

_لقد كنا نلهو سويًا، ما الذي حدث

فتحدثت ليا موجهة كلامها لتقى بحدة بسيطة:

_لقد ذعرتينا جميعًا، انظري لوجوه الأطفال والخوف الذي اجتاحهم مما فعله سُليمان من خوفهُ عليكي؟

فنظرت تقي حولها بحرج مككرة:

_ لم اقصد ابدًا، أنا آسفة جدًا

فتدخل غيث:

_أرجو مراعاة التعامل الصحيح مع كل عُمر من الأطفال، نحن هنا مسؤولون عن بعضنا البعض، وأنتي فتاة ناضجة بما يكفي، ونثق بكِ

ابتسمت له تقي وهي تشدد باحتضانها لسُليمان كي تطمئنه، قائلة:

_شكرًا لك سيد غيث، شكرًا سيدة ليا

فنظرت لها ليا بتعجب قائلة:

_ما بالك يا تقي؟

تغيرتي كثيرًا بالآونة الأخيرة، وكنتِ تأتي كل ليلة للتحدث معي سرًا، وأقرب ابنائي بالجزيرة، حتى أن مر فترة وانتي ترددين سيدة ليا؟

منذ متي ويتم مناداتي سيدة منكم؟ ألم أكن أمً لكم؟ وتناديني بماما ليا؟

فرددت خلفها تقي بحب:

_حسنًا ماما ليا، اعتذر بشدة إذا أغضبتك اليوم، أشعر ببعض المشاعر المتغيرة منذ مدة فقط، وأعدك سأتي لكِ ونتحدث كما اعتدنا

ابتسمت لها ليا وهي تحرك رأسها بالايجاب، وتنصرف وبداخلها تشعر أن تقي قد تغيرت كثيرًا، حتى طريقة حديثها وابتسامتها، دومًا هناك خوف يسكن ملامحها، أو ربما طفلتها نضجت وهناك الأسرار التي جعلتها تتردد ف الحديث معها، ولكنها تعلم أنه سيأتي اليوم وتعود الطفلة لحضن أمها، وتلقي به كل ما بجعبتها، لكم تمنت هي ذلك الشعور في مراهقتها، والآن تعوضه لكل ما لا يملكه أيضا

همّ الجميع بالخروج وذهب كل طفل لما كان يفعله من قبل، وأثناء سيرهم تحدث غيث:

_لدي موضوع مهم كنت أود أن أتناقش به معكِ قبل أن يحدث هذا

فردت ليا بنصف اهتمام وهي تتابع الأطفال وشارده بأمر تقي:

_اخبرني إذًا

_اعتقد من الأفضل أن نتحدث أمام العملاق، ف هذا الموضوع يخصه أكثر

نظرت له ليا بتعجب وقلق قائلة:

_ هل حدث أي سوء؟

فأخذها من يدها وهو يتجه لغرفة العملاق مردفًا:

_ستعرفي الآن

وصلَ لغرفة العملاق الخاصة به، ودق الباب ليفتح له العملاق مرحبًا به، لكن العملاق لم يكن وحده بالغرفة كالعادة، فهو لا ينال ابدًا وقتً فارغ لنفسه؛ بسبب تعلق الجميع به، فكان هناك بعض الأطفال الجالسون بجيب ردائه يضحكون كلما تحرك بهم العملاق وكأنهم بأرجوحة ممتعة، ف طلب غيث من العملاق أن يجلسون على إنفراد بعيدًا عن الأطفال؛ منعًا لنشر الأقاويل بينهم ...

***

"جَزيرة الحُوريات"

ربما دائرة حياتنا التي نشأنا بها، تجعلنا نؤمن أن هذه هي الحياة لدى الجميع، أو أن ليس هناك حيوات أخرى مختلفة! فقط نحن بهذه الدنيا نقضي بها بعض السنوات ليأتي الأجل وهكذا يستمر النمط الأبدي.. ولكن هناك من يؤمن أنه ليس بالعالم وحده، ويحاول ويصل لمبتغاه، حتى يتشبع فضوله من تلك النقطة السوداوية الكامنة داخله، وربما يصل لسر قررت الحياة إخفائه، ويكون هو المكتشف ذو الفضل الأول، أو ربما... مفتتح باب الجحيم...

في بقعة مختلفة تمامًا من الأرض، حيث جزيرة لا يراها سوى أصحابها فقط، تكاد تكون غير مرئية وكأن من حولها حاجز شفاف يحجب رؤيتها جزيرة كل سكانها لا يعلمون لماذا هم هنا؟ ومنذ متي ولكنهم اعتادوا بمرور السنوات ألا يتساءلون وبرغم أنها بالخارج غير مرئية وهناك حاجز يحجبها عن العين، إلا بداخلها قطعة من الجنة، من أجمل وأرقي الجزر التي يمكن رؤيتها بالعالم، فهي "جزيرة الحوريات"

نعم حوريات، فكل سكانها من الحوريات البحرية جزيرة كل من عليها من الجنس الناعم كما يطلقون علي النساء الكل يعرف أن البيت الذي يسكنه إمرأة كم يبدو نظيف ومرتب، يستحب التواجد به، فماذا عن جزيرة من الحوريات فقط؟ لا وجود للجنس الذكري بتاتًا، يا لها من جزيرة النظر لها فقط يشرح القلب وينقي العين

تبدأ الجزيرة علي حوافها جميع انواع واللوان الورود المختلفة، تصتف بجانب بعضها كلوحة فنية لا يمكن لأحد الإبداع مثلها، وبالداخل نجد ممرات دائرية شفافة بالهواء تتنقل بها الحوريات مثل الكباري ولكن بشكل مبدع، وبالأسفل مثل بيوت مائية مفتوحة للسماء تبدو ك استراحة للحوريات، وبعضها مغلق للخصوصية

وبإحدى تلك البيوت الصغيرة المفتوحة للسماء، تجلس هي وتمدد جسدها على الماء تفكر فيما بدأتهُ وكيف ستنهيه؟

فإذا حدث أي إنحراف لخطتها يمكن أن تؤدي بحياتها كلها للهلاك!

لتأتي لها من أحدي ممرات الماء مَن تقاطع شرودها قائلة:

_ناريمان ماذا تفعلين؟

لتنظر لصديقتها المزعجة بملل بنصف عين مردفة:

_كم انتِ مزعجة يا شودي، ماذا علي أن أفعل بحمامي الخاص مثلًا، أصنع المجد؟

شودي بنفاذ صبر:

_يا لرواقة بالك، انتِ هنا تستجمي وتاركة تلك الكارثة التي جلبتيها لنا

ناريمان وهي تحرك خصلات شعرها بالماء بغير اكتراث:

_ماذا فعلت الكارثة؟

_لا شيء فقط تسللت لقصر الملكة منذ قليل

قالتها شودي بأستخفاف لتفزع ناريمان من مكانها ودقات قلبها تتسارع، ف إذا انكشف امرها سوف تلقي حتفها من الملكة وتهلك، دفعت ناريمان شودي لتقع بحمامها وتنطلق عبر الممرات المائية بالهواء لتنقذ تلك الكارثة قبل حدوثها، أو كما تعتقد هي أنها لم تحدث بالفعل...

***

أغلق العملاق الباب خلف الأطفال العالقون به، بعد إقناعهم بشتى الطرق أن يتركوه ساعة واحدة فقط للتحدث مع غيث وليا بأمر هام، وعاد لهم مبتسم الوجه كعادتهُ قائلًا:

_اعتذر عن التأخر، فكما تعلمون الأطفال يعاملونني معاملة الكارتون الخاص بهم

ضحكت ليا وغيث علي كلماته مردفة:

_لا عليك، فأنا كنت بكارثة علي وشك الحدوث منذ قليل واكتشفت انها مقطع من فيلم كارتوني أيضًا

العملاق: لم أكن أعلم أن مشاكل الصغار كبيرة إلي هذا الحد، ظننتهم ملائكة كما كنت أراهم من بعيد

غيث: ملائكة حقًا، بالأخص "ما" أبنِ

ضحك الجميع علي ذكر اسم الصغير المشاغب، ثم تابع العملاق باهتمام:

_قلت انك تريد إخباري بموضوع هام، ما هو؟

غيث: نعم، هناك شيء غريب قد حدث ولا أعلم سببه، فأردت أن نتناقش به جميعًا

ليا: قل يا غيث، اقلقتنا

فرك رأسه وهو يتابع:

_ كما تعلم أنني أتابع عملي خارج الجزيرة بالمديرية العامة، وتغيبت أسبوع كامل هذه المرة، وذلك بسبب الأمر الذي سأقوله الآن

العملاق: ماذا حدث؟

غيث: جاءنا أخبار أن هناك لجنة من وزارة حقوق الإنسان تتجهز لمعاينة الجزيرة ومتابعة أخبار الأطفال لدينا

ليا باستعجاب: وما السبب؟ هل هناك بلاغ عنا أو شيء كهذا؟

غيث: هذا ما تعجبت منه، وذهبت بالفعل للإدارة كي استعلم عن الأسباب، ووجدت أن هناك أكثر من بلاغ من الجزر المجاورة لنا

العملاق: هل حدث أي مشاكل بين القائمين علي الجزيرة مع أي سكان جزر أخرى؟

غيث: لا، ولكن قدموا بلاغات كاذبة تتضمن سرقة الأطفال والتجارة بهم كوجهة بريئة لمصائب مجهولة، وأن بالماضي كانت الجزيرة تشتهر بموت من يتقرب منها، ومثل هذه الأقاويل القديمة، وهذه اللجنة ستأتي بأي وقت وبدون ميعاد لتتحقق من أوراق الدار وعدد الأطفال وصحتهم وكل هذه الأشياء التي تخصهم

ليا: ولكن كل هذه بلاغات كاذبة، لماذا يقولون هكذا

العملاق: أنا أعلم

غيث: وما السبب؟

العملاق: لأن الجزيرة هنا باتت من أشهر الجزر السياحيةً، ويتردد عليها الكثير من الزوار، وبالطبع هذا ما أثر عليهم من الناحية الاقتصادية، ولذلك أحبوا نشر بعض الأقاويل والإشاعات مرة أخرى؛ لجذب السياح لهم وابتعادهم عن جزيرتنا

فهمت ليا واقتنعت بما قاله جداً، فهو تحليل منطقي وواقعي، فبالفعل الجزيرة لديهم يأتي لها زوار من جميع أنحاء العالم، وأخبرت غيث أنها من صباح اليوم الجديد ستتولى أمر تحضير الأوراق مع المشرفين، وسيتجهزون لتلك اللجنة بأي وقت كما يشاءون

***

الساعة التاسعة مساءًا..

وهو التوقيت المحبب لدى الجميع، حيث يتخلص كل فرد مما عليه ويبدأ بالبحث عن رفاهيته الخاصة. ذهب "ما" سريعًا لمكانهم المفضل بوسط الغابة، وقام بإشعال الحطب؛ ليستمدوا الدفء منه، وبجيب بنطاله ذاك الحجر الزمردي الأخضر الذي وجده بالصدفة ليلة أمس، أنتهي من تحضير وهندمة المكان، وجلس منتظرها علي أحر من الجمر، كمن

سيقابل عزيز قلبهُ لأول مرّه، وهكذا هو شعوره بكل مره يلتقي بها، وكأنها أول مره.

بنفس التوقيت خرجت نور من كوخها والذي يقترب كثيرًا من كوخ نيرة، تلفتت حولها بحذر وهي تبحث بعينها عن وجود إلياس الذي يبحث عنها منذ الصباح وهي تتعمد الهرب منه، وعندما اطمأنت من عدم وجوده انطلقت مسرعة لكوخ نيرة وهي تدعو الله بقلبها أن تلحق بها قبل خروجها كالعادة كل ليلة للغابة، وعندما وصلت ودلفت لكوخ نيرة وجدتها بالفعل كانت تتجهز وتثبت خمارها مستعدة للخروج، استقبلتها نيرة وهي تعدل وتهندم من ثيابها وتتأكد أمام المرآة من إخفاء كل خصلات شعرها الأمامي، قائلة باستعجال:

_مرحبًا نور، لماذا تأخرتِ كل هذا؟ انتظرك منذ أكثر من ساعتين

_نور: لقد حاولت المجيء منذ أكثر من ساعة ولكن إلياس كان يتردد على كوخي ويحاول مقابلتي وانتظرت حتى يرحل

_نيرة: ولماذا تتهربي منه بالأساس؟ هل حدث بينكم أي خلاف؟

_نور: لا، لكنه يرفض أن يعرف أي شخص ما سأقوله، حتى انتُ

لم تفهم نيرة حديثها بشكل كلي، وطلبت منها أن يستكملوا حديثهم بالطريق إلي الغابة، في البداية رفضت نور فهي لا تريد الحديث أمام "ما" ولكن بعد محاولات من نيرة وبطريقتها التي تتغلب بها دائمًا علي الطرف الآخر استطاعت إقناع نور أن صديقهم "ما" لن يضرهم بل

سيساعدهم ويكون لهم خير الأخ والسند، وبعد هذه المناقشة شعرت نور براحة فربما يكون الاختيار الذي نخاف ونبتعد عنه هو الأصح لما لا!.

وخلال سيرهم كان هناك عدة أعين تتبعهم بصمت...

على الجانب الآخر قد مرت ساعة علي جلوس "ما" وحدهُ حتى مل وبدأ يتخلله شعور أنها لن تأتي اليوم، أو ربما حدث شيء قد غير ميعاد لقائهم، حزن بداخله وقرر أن ينتظرها لنهاية ميعاد نومها، فربما يحظى بدقيقة واحدة معها تحسن نهاية يومه، أخذ يمسك الحطب الذي تحول لكتلة من الرماد الصلب ويقذفه بعيدًا، ويضع قطع حطب أخرى، وفي أحد مرات ألقاءه لقطعة حطب كبيرة وجد من تصيح بالظلام قائلة:

_ مهلًا، ما الذي تفعله ستحرقني

كان هذا صوت نور التي جاءت بكتفها قطعة الحطب ولوثت ملابسها، بينما نيرة كانت تنفض عنها أثرها

لم يكن يتوقع "ما" مجيء نور معها فأعتذر منها بحرج:

_ عفوًا، لم أراكم بالظلام

ثم وجه حديثه لنيرة باهتمام وبعض الاندفاع:

_لماذا تأخرتِ هكذا؟ ظننت انكِ لن تأتي، وكنت أطفئ الحطب؛ لارحل الآن

كان بالطبع يكذب عليها وعلى نفسهُ؛ ليوضح لها عدم اهتمامهُ بمجيئها من عدمه، فهو يخاف دومًا أن يظهر كل ما بداخله لاعتقاده بأن الحب يجعل من العاقل مختل

أجابته نيرة عن سبب تأخرها وهو انتظار نور، ثم بدأت بالحديث عن أزمة نور وهروبها من إلياس صديقهم، فتعجب "ما" من حديثها وتساءل:

_ ولماذا تهربين من إلياس، أليس هو صديقك المقرب والمفترض أنه المسؤول عنك ويعرف كل شيء يخصك؟

فأجابته نور موضحة وجهة نظرها:

_نعم صديقي المقرب ويعلم كل شيء حتى الذي أريد التكلم عنه الآن، لكنه يرفض أن أتحدث مع أي شخص ويرفض أن أتحدث مع نيرة دون أن يوضح سبب رفضهُ، وذلك ما يزعجني أكثر، بدلاً من منعي، عليه التوضيح وإلا سأفعل من خلفه ما أريد، وسيكون هو من تسبب في ذلك

أجابها صوت إلياس الذي خرج من وسط الأشجار مفاجئهم بوجوده، لأنه كان يتتعبها منذ تحركها أول خطوة من كوخها قائلًا باعتراف:

_حسنًا انتي محقة، وأدين باعتذار رسمي لكِ، لم اوضحلك الأسباب لأنني ظننت انكِ صغيرة ولن تفهميني بشكل صحيح، ولكن من الآن ساتعامل معكِ علي إنك نور الناضجة ليست الطفلة التي كنت اعرفها وترعرعت بين يدي

اختفت ملامح الدهشة على ملامح الجميع، وارتسمت البسمة علي ثغر نور التي اطمأنت بعد حديثه لها امامهم، وأنه لم يحزن من قولها منذ قليل عنهُ، وبدأت تشعر بالراحة

عدلت نظارتها علي وجهها بخجل وهي تنظر للاسفل قائلة:

_أنا أيضًا ادين لك باعتذار، لأنني تهربت منك طوال اليوم وما كان علي فعل ذلك

بادرها إلياس الاعتذار ليصيح بينهم "ما" قائلًا:

_بعد كل هذا الحديث أنا لم افهم شيء بالأساس، مـــــاذا حـــدث؟

فأجابته نور بثقة:

_لقد اخترتني الجزيرة؛ لاضحي من أجلها..

***

"جزيرة الحُوريات"

إلى العزيز الغائب...

طال غيابك وما زال طيفك يؤنسني، لا أعلم متى تتذكرني ومتى ستعود، كل ما أعلمه الآن أنك كُنت ومازلت هنا، هنا بكل جزء في جسدي، أزهر كلما اشتاقك، وأذبل كلمت فقدت الأمل بعودتك.

***

تسللت لأول مرة لقصر الملكة، الملكة التي طالما أخبروها أنه غير مسموح لها بلقائها، فقد انعشوا فضولها بمنعهم، ورغم وعدها لهم بأنها لن تقترب، لم تتحكم في نفسها وهربت لترى ما لم تراه طوال حياتها قصر لا يشبه القصور، ولا حتى له معنى، هي تتحرك على أرض ملمسها وردي مختلط بجميع الألوان بتساقط أوراق الورود عليه، قصر مثمر! فيبدو وكأنه مشتل ورد او أنه مبني من الورد بالأساس! أخذت تتحرك عبر الممر الأرضي وهي تلامس الجدارن الوردية متعجبة من العالم الخرافي التي تشهده، تتساءل في نفسها كيف لوجود مثل هذا بالعالم ومخفي عن الأعين، ومن استطاع بناء هذا القصر العجيب بهذه الطريقة الخرافية؟

تعمقت أكثر لتجد بنهاية الممر سلم علوي يؤدي لشيء هي لا تراه، فصعدته بحذر وهي تتلفت حولها وتدعي ألا يقودها فضولها هذه المرة

للجحيم، انتهت من صعود الدرج لتجد ممر قصير وسلم آخر، لكن هذه المرة كان أقل حجمًا من الأول، تشتت وفكرت بأن تعود ويكفي هذا، لكنها أكملت وهي تقول في نفسها "أكملي ما بدأتيه لا وقت للخوف، أنتي هنا لاكتشاف ما أزعجك لسنوات"

وصعدت بالفعل ولكن هذه المرة لم تجد ممر آخر، هي وجدت بوابة للعالم الآخر، فتحة باب بشكل دائري، يتدلى منه الزهور الخرافية، وبجانب ذلك الباب زهور ضخمة! وكأنها شخص يقف بكل فخر وعزة نفس، فمرت بداخل البوابة بكل اندهاش متناسية تمامًا سبب مجيئها، ومنشغلة بالجنة التي تراها حولها، ليأتي لها صوتً ساحر كقائلته:

_أيسل هل تبحثين عن شيء بغرفتي؟

أنتفضت هي بعدما كان كل انشغالها بالعالم الخرافي التي تشهده، رأت ما لا يمكن لأحد تصديقه!

ملكة ضخمة يكسوها النجيل، وكأنها قطعة من الأرض أثمرت ودبت بها الروح، يا لروعتها وسحرها وسحر عيناها المدببة، لا حورية ولا بشرية ولا حتى لها شبيه، هي فقط تشبه نفسها، تجلس أمام لوحة وبجانبها أدوات الرسم وخلفها يصتف عدد لا نهائي من اللوحات المشابهة لنفس الرسمة التي لم تلاحظها تلك المتطفلة. فقط تنظر لها بذهول وكادت أن تجري عليها لتحتضنها دون سبب، فتحدثت الملكة مرة أخرى بعدما وجدتها تقف كالصنم:

_أيسل؟؟ هل سمعتيني؟ ما بكِ

كيف تجيبها وهي تشعر بأنها في حلم؟ كيف تتقن التصرف وعقلها مغيب بجمال ما ترى، وكيف تجيب عليها وهي تقوم بندائها بإسم غير اسمها؟ لم تجد حلًا غير أنها تهرب الآن، قبل أن تفسد كل شيء ويكفي ما افسدته ركضت سريعًا من أمامها والملكة تنظر في أثرها بكل تعجب قائلة في نفسها:

_جنت هذه الفتاة مبكرًا، اقسم أنها كانت اعقلهم

على الجانب الآخر كانت تركض ناريمان بكل قوتها وهي تعرف ما سيحدث عند دخول الكارثة للقصر الملكي، وعندما دلفت للقصر بأقصى سرعتها وجدت من تركض عكس اتجاه الممر الضيق التي تمر منه، ليرتطموا ببعضهم البعض صارخين من الخوف معًا، فتجدها ناريمان تلهث وعيونها يظهر بهما الخوف، أخذتها من يدها تجرها مبتعدة عن القصر لتعرف منها ما حدث بالتفصيل، وتحاول منع المصيبة قبل حدوثها.....

***

_ماذا تعني باختارتكِ الجزيرة؟

قالتها نيرة بعدما تعجبت من حديث نور الأخير، فهي تعلم إلى أين يصل حب نور للاستكشاف، ولكن ليس لدرجة هذه الخرافات، فاجابتها نور وهي تدعو أن يصدقونها:

_سأروي لكم، ولكن ارجوكم لا أحد يأخذ حديثي على محمل الدعابة. منذ مدة وأنا أتردد على حواف الجزيرة لاكتشف ما يخرج من بحرها عبر تغيير الفصول لأكتب نص يوضح تغيير الحياة المائية وأثر الفصول على البحر مثل البر، وخلال هذه الفترة كنت أجد اشياء عجيبة مثل احجار من اللون الاخضر الزمردي وبداخلها بعض الحروف بلغةٍ عجيبة لا افقها، ولكن الأغرب أنني وجدت قواقع تحمل رسائل وكأنها خاصة بي فقط، أو أنها مرسلة خصيصًا باسمي، فأول مرة وجدت قوقعة وضعتها على اذني لاستمع صوت البحر بها لكنهاا همست لي "مرحبًا نور" في البداية اعتقدت أنها هلاوس وان خيالي أوسع مما تخيلت، لكن تكرر الأمر بجمل مختلفة مثل " هل تريدين الحصول على سر عظيم " " أنتي مكتشفة عظيمة " "أنتظرتك كثيرًا يا صغيرة " حتى تطورت هذه الرسائل واخبرتني بآخر قوقعة أنها ستأتي لي بالمنام لنكون اصدقاء وأصدقها، وبالفعل أتت، إنسية من نور محلقة، تتحدث معي بأشياء كثيرة، واخبرتني أن الجزيرة قد اصطفتني لاضحي من أجلها...

بعدما أنتهت نور من سرد قصتها التي تبدو وهمية بالنسبةِ للجميع، نظر "ما" ونيرة وإلياس لبعضهم البعض ليردف إلياس أولهم:

_نور لا تهذي صدقوها، فقد كانت تحكي لي كل يوم ما يحدث معها وكانت تظن أيضًا أنها مجرد خرافات، وأنا أيضًا كنت اؤكد لها بالكذب

أن كل هذا يحدث بسبب خيالها الواسع لكني اثق تمام الثقة أن كل ما تقوله حقيقي، وقد حدث لغيرها بالجزيرة من قبل

تفاجئ الجميع بحديثه لتتساءل نور باهتمام:

_ماذا؟ تقول أنه قد حدث لشخص من قبلي؟ من هو؟ ولماذا لم تخبرني؟ ارجوك قل من هو وما حدث معهُ؟

لم يكن يريد إلياس أن يكشف ذلك السر القديم، ولكنه مضطر أن يوضح لهم كل شيء الآن فبدأ يروي لهم:

_حسنًا، ولكن ما سأقوله الآن لا يخرج لشخص آخر. منذ عام أو أكثر كنت شديد التعلق بالذهاب يوميًا لغرفة "ماما ليا" كانت اسئلتي كثيرة ولا احد كان يتمكن من إشباع فضولي غيرها، وبأحد الليالي ذهبت اتسلل لغرفتها لأجد الباب مغلق ولكن ليس بشكل كامل، واستطعت رؤية "ماما ليا" تجلس مع فتاة من الدار، لم استطيع تحديد صوتها بالتحديد لكنه صوت مألوف اعرفه، كانت تحكي لها كل ما قالته نور بعكس ترتيب الأحداث، واخبرتها أن هناك إنسية محلقة تأتي لها بالمنام تدعى ناريمان، وتخبرها بأن هناك اسرار لابد من اكتشافها بنفسها وعليها الرحيل من الجزيرة، لكن "ماما ليا" غضبت خوفًا عليها، وقالت لها أنها تهذي وأن ربما حبها للجزيرة والبحر جعلها تهلوس وان هذه الأقاويل ستدفع الأطفال لتقليدها ولا تحاول أن تقول ما قالته مرة أخري وإلا ستعتبرها مريضة نفسية ولابد من علاجها فورًا

عندما سمعت كل ما حدث ركضت قبل أن يراني أحد ومنذ ذلك اليوم لم أتحدث في هذا الموضوع بل نسيته بالأساس، ولكن ما لم أنساه هو أن هذه الفتاة لم تعود كمان كانت منذ ذلك اليوم

بادرته نيرة سريعًا بسؤال ذكي منها:

_الن تقول انك لم تري تلك الفتاة ولا تعرفها؟ كيف عرفت انها تغيرت منذ ذلك اليوم؟

توتر قليلًا مستكملًا بكل صراحة:

_الحقيقة اعرفها، لكني لم اعتاد أن افشي سر أحد، فيكفي الحديث بدون ذكر اسماء

شعر "ما" أن رأسه ستنفجر من كل هذه الأحداث وماذا عليه أن يفعل معهم، فهو كل ما يتخيله عقله الآن أن البحر به لعنات تجر الأطفال واحد تلو الآخر للجحيم

فتحدث بكل صرامة لينهي ذلك الجدل مثل والدته لعدم أنتشار الأقاويل وزيادة الخطر عليهم:

_حسنًا يا نور اصدقك، واصدقك أيضًا يا إلياس ولا يهم إسم الفتاة، ولكن ما قالته "ليا" هو الأصح، كل هذه تخاريف وربما خطر يتسلل لنا من البحر من خلال عقول الفتيات المغرمين بالأستكشافات، فعليكِ يا نور السيطرة على خيالك ومنع نفسك من أي تهور، إذا أنتشر هذا الحديث بين

الجزيرة سيخاف الجميع وربما يرحلون ونعود لنقطة الصفر، وستكونين أنتي سبب بداية الجحيم كلهُ

وبرغم منطقية حديثه إلا أنه كان حاد في الحكم على نور، فكيف تمنع نفسها تلك الصغيرة من فضولها وهو يحدث معها اشياء اكبر من عمرها، لم تقتنع نور بحديثه وشعرت أن مصيرها سيكون العلاج النفسي كما قالت "ليا" من قبل، واعتذرت من جلستهم وقامت منصرفة بكل حيرة وانهزام، في البداية ظنت أنهم سيساعدوها ويقفون بجانبها، ولكن ما وجدته بالنهاية أنها مجرد مختلة بنظر الجميع الآن، وأثناء سيرها والدموع تنهمر على خديها وجدت من يسحبها ويضع يده على فمها وياخذها بعيدًا عن أعين الجميع....

لامت نيرة "ما" على قساوة حديثه، فطلاما كانت نور من ارق الفتيات بالجزيرة وأقل كلمة تجرح فؤادها، وشعر "ما" بسوء تصرفه بالفعل مردفًا بأسف:

_اشعر أنني أخطأت بالفعل، ولكن ماذا على ان أقول؟ هل أقول هيا اذهبي خلف فضولك لنخسرها للأبد؟

فتحدث إلياس بخيبة:

_لا اعرف لماذا هي بالتحديد من يحدث لها كل هذا، نور صغيرة على تحمل كل هذه الأسرار، قواقع وأحجار وحروف واحلا..

قاطعه هنا "ما" وهو يتذكر سبب لقاءه بنيرة بالأساس قائلًا بدهشة:

_احجار؟ أنت قلت احجار؟ صحيح! تبًا لغبائي، كيف يفوتني تلك الكلمة من نور؟

تعجبت منه نيرة وإلياس فهم لا يفقهون شيء عما يقوله، ليخرج "ما" من جيب بنطاله الحجر الذي اراد ان يهديه لنيرة قائلًا:

_مثل هذا؟ نور قالت منذ قليل احجار باللون الاخضر الزمردي، هذا ما تقصده، ومعني وجود ذلك الحجر معي أنني أيضًا مقصود بكشف السر معها؟

امسك برأسه وهو غير قادر على ربط الأحداث ببعضها ليصيح إلياس:

_علينا إخبار نور، ربما عندما تعرف يمكننا جمع الأحداث أكثر من هذا الضياع.

واسرعوا خلف نور ليلحقوا بها قبل أن تعود لكوخها وتذهب للنوم كما يعتقدون؛ ولكنه كان قد فات الأوان...

***

"جزيرة الحُوريات"

جلست الحورية ناريمان مع آيسل (الكارثة) بعدما أخذتها بغرفة مغلقة بعيدة تمامًا عن القصر لتخفيها عن العين، وبادرتها بالحديث عن سبب تسللها لقصر الملكة التي طالما حذرتها من الذهاب هناك مطلقًا، ولكن آيسل كانت لم تستفيق من أثر سحر جمال القصر وملكته، ولم تهتم بصراخ ناريمان بوجهها قائلة:

_ملكتكم جميلة بشكل مبهر، ما اسمها ؟

صرخت ناريمان بوجهها أكثر وكادت أن تجن من ثبات وبرود تلك الإنسانة المتطفلة قائلة:

_كدتي أن ترميني للهلاك وتقولين بكل هدوء ما اسمها ؟ يا لبرود أعصابك

زال البرود والسحر لديها وانفجرت بها بكل ما حاولت كتمانه تلك المسكينة:

_كفاكِ صراخ بوجهي يا ناريمان، لقد اكتفيت غموض وقلة معرفة من يوم مجيئي هنا

لماذا تخفين عني الأسرار التي تعرفيها، ولماذا لا تريدين إخباري؟ ألن تقولي لي أنني إذا أتيت معك لجزيرتك وضحيت لأجل العملاق سيتغير كل شيء؟ أين التغيير أخبريني، لقد اقتربت على إتمام العام هنا وأنا

حبيسة تلك الغرفة والجسد اللعين، وكل يوم توعديني بأشياء عدة لا يحدث منها شيء واحد حتى، لن أصبر أكثر من ذلك، وإذا سمحتي أعديني لجزيرتي ولن أتحدث عن أي شيء رأيته هنا معكم، حتى ملكتكم تلك لن أقول عنها، وبرغم انك حذرتيني كثيرًا من لقائي بها واوهمتيني بشرها، لقد استقبلتني بوجه بشوش دون أن تفعل معي أي شيء

أنتي كاذبة يا ناريمان وأنا آسفة أنني صدقتك في يوم من الأيام، جعلتيني لعبة بين يديكِ وفقدت عائلتي وأصدقائي بسببك

تركتها ناريمان تتحدث كما تحب، ولم تتفوه ببنث شفه، فهي محقة تلك المسكينة التي استخدمتها كبداية لحل لغز هي حتى لا تعرف كيف ستكون نهايته، ولكنها حاولت بقدر الإمكان الحفاظ على سرها، لكن الآن لا وقت للأسرار فخطتها اقتربت على النجاح، اعتذرت لصديقتها الصغيرة على صراخها بوجهها، ووعدتها أن بصباح الغد سيحدث ما سيغير كل هذا، وستفصح لها بكل الخبايا التي تريد معرفتها، فقط تمهلها وقت إضافي ليوم واحد فقط وستكون آخر مهلة تطلبها منها، ولكن الأخرى أصرت على معرفة سبب تخويف ناريمان لها من الملكة الوردية وهنا لم تجد ناريمان مهرب لتجيبها بعد تذمر:

_قلت لك بالكذب فعلًا أن ملكتنا شريرة ولا يمكنك التعامل معها، ولكن لم تكن هذه الحقيقة. الحقيقة أنها ستعاملك على انك آيسل التي تعرفها، ليست تقي المختبئة بجسد آيسل، وربما ينكشف أمرنا ويتم عقوبتي أنا واسل

على ما فعلناه، لذلك السبب قمت بخداعك، لكن اقسم لكِ يا تقي أنني لم أخدعك عندما قلت لكِ سننقذ الجزيرة وسيتغير كل شيء للأفضل عما قريب، وغدًا سأثبت لكِ حقيقة كلامي

صدقتها تقي المسكينة التي لا ترى أمامها اختيار سوى تصديق ناريمان وتنتظر لصباح الغد لترى ما سيحدث وسيغير النمط المعتاد...

***

استيقظ إلياس مبكرًا كما اتفق مع أصدقائه بالأمس عندما لم يجدوا نور بكوخها ولم تجيب عليهم، فظنوا أنها حزينة أو قد غاصت بأحلامها سريعًا، وأخذوا قرارهم أن يجتمعوا قبل بدء الدروس التعليمية ويلتقوا بنور ليخبروها بوجود الحجر الزمردي مع "ما" ويعتذر لها على ما قاله.

جلس مكانه على السرير وهو يردد أذكار الصباح قبل أن يتحرك ويفرك بيده على وجههُ، وعندما انتهى قام ليتحرك ويفتح نافذة الكوخ ليتسلل له أشعة الشمس وتجدد هواء كوخهُ، ولكن تفاجئ بوجود ظرف قد وقع من خشب النافذة فنظر له باستعجاب ومد ذراعه وأخذ يقلبه بين يده وهو يخشى ما بداخله وفضل أن يقرأه مع بقية أصدقائه؛ لاستشعاره أن ذلك الجواب له صلة بحديث ليلة أمس.

اخذ الجواب وذهب سريعًا لصديقه "ما" الذي وجده جاهزًا، وبعدها ذهبوا لأخذ نيرة والتي كانت تنتظرهم وجاهزة أيضا ثم رحلوا جميعًا لكوخ نور القابع بالقرب من كوخ نيرة، وعندما وصلوا وقاموا بدق الباب

أكثر من مرة لم تأتيهم أي إجابة من الداخل، فقررت نيرة الدخول بمفردها لعل حدث لها أي مكروه، لكن عندما دخلت وجدت الكوخ فارغًا والنور مضيء بداخله وكأن نور لم تعود لكوخها من ليلة أمس، قامت نيرة بالنداء علي إلياس وما ليجدوا ما رأته هي الأخرى، هنا تذكر إلياس وجود الجواب بجيب بنطاله واخبرهم به وأسرع في فتحه ليجد ما لم يخطر علي بالهم...

.....فلاش باك.....

أخذت قاربها الصغير وتسللت ليلًا والجميع نيام؛ لتروي فضولها عن هذه الأحرف والأحجار، بعدما تركت رسالة ورقية لصديقها المقرب قائلة:

_ عزيزي إلياس، أنت أكثر ما يحفظني ويعرفني تمام المعرفة فقبل أن أكون صديقتك المقربة، فأنا أبنتك وزهرتك التي تفتحت للحياة علي يدك

لقد ذهبت حيث منعتموني، وآسفة جدًا لعدم تنفيذ أوامرك، ولكني غير قادرة علي عدم المواجهة، هناك شيء يناديني يريد أن أكتشفه، ولن أعود إلا عند اكتشافه أو الاعتراف بفشلي...

وذهبت وهي خائفة مرتعبة، ولكن عقلها يؤكد لها انها محقة، ولابد من رحيلها، جلست بالقارب وأخذت تجدف مرة تلو الأخرى، وقلبها يرتعش لابتعادها عن مصدر قوتها وثباتها

مرت ساعات من تجديفها حتى اختفت الجزيرة كلها من خلفها، وغلبها النعاس بالقارب، فتكورت حول نفسها محتضنة شنطتها التي أخذت بها كل ما سينفعها في هذه الرحلة الشاقة، لتغوص بعالمها الخاص، حيث الأحلام المفتعلة، وتأتي لها من جديد تلك الإنسية المحلقة محدثاها ببهجة:

_ كنت أعلم انك محاربة شجاعة، وأن اختياري لكِ كان في محله يا صغيرة

_ لكنني خائفة

_ عزيزتي أنا معك بكل وقت وبكل مكان، نحن في مهمة سيشهدها العالم كله

_ لكن هذه أول مرة ابتعد فيها عن الجزيرة، أشعر بخوف يجتاح جسدي كل لحظة، أرجوك لا تتركيني أنت أيضًا

_ عزيزتي، هذا الصواب الوحيد الذي فعلتيه، مثلما قدم لكِ العملاق أديل ما الأبوة، لابد أن تقدمي له البسيط من رد الجميل حتى لو كانت روحك، أليس كذلك؟

_ صحيح، ذلك العملاق له في قلوبنا كل الحب والامتنان، إنه ليس رجلًا لطيفًا فقط، إنه رجل عظيم، وأب روحي، ويستحق كل تضحياتنا لأجله

اختفت الإنسية المحلقة المدعوة بناريمان من حلمها، لتستفيق الصغيرة نور ذات العشر سنوات علي ارتطام القارب فجأة بشدة
لتتقلب بداخله بقوة، تصرخ وهي تحتضن شنطتها الجلدية ولكن ليس هذا المرعب فقط، المرعب أن هناك من قام بحملها هي والقارب معًا، لتجد نفسها محلقة بالهواء بمنتصف البحر، ظلت تصرخ وصراخها يدوي حولها، ولكن اين النجاة والعالم فارغ؟
اين النجاة وهي قد هربت وابتعدت عن أمانها ومسكنها الذي يحميها؟

***

بين مشاكل الأطفال الكثيرة كانت تنشغل "ليا" بتحضير اوراق كل الأطفال والاستعداد لاستقبال اللجنة التي ستأتي بأي وقت عليهم وبدون سابق إنذار، واستطاعت الاتفاق مع مشرفين الدار بتحضير كل شيء واطمئنت أنهم علي أتم الإستعداد ولا يوجد أي عجز أو نقص فى الأوراق. فى نفس الوقت لم يسهو غيث عن ما حدثته ليا بخصوص نجلهم الصغير "ما" وقرر الجلوس معه اليوم قبل أن ينشغلوا بوجود اللجنة، أخذ يبحث عنه بكل الاماكن التى يفضلها صغيره حتى وجده يجلس مع أصدقائه إلياس ونيرة تجاه البحيرة، والقلق يظهر علي وجوه الصغار وكأنهم يتفقون على سرقة بنكية، اللقى عليهم السلام دون أن يتدخل بشؤونهم ويتطفل عليهم وأخبر "ما" أنه سينتظره بالقرب منه حتى ينتهي من جلسته مع الأصدقاء والتي تبدو جلسة مهمة جدًا بينهم.

اخذ يتمشى على الشاطئ بانتظار ابنه المشاغب، حتى وجد من يخرج له من البحر فجأة له وهو

رومينيو صديقه الأليف ومختطف زوجته سابقًا، و الذي انشغل عنه غيث كثيرًا بالفترة الماضية، لكن رومينيو قد جاء فى ميعاده الصحيح كالعادة، فقد كان يحتاج غيث لمن يتحدث معه براحة ويفهمه وهو يشعر أن رومينيو برغم صمته يفهمهُ ويطمئن للحديث معه..

جلس على صخرة تلامس بداية البحر امامه، وبدأ يفضفض مع رومينيو عن مشاكل الصغار ومشاكل العمل وما حدث معه الفترة الماضية حتى مر القليل من الوقت ووجد "ما" يقطع جلستهم بملامح باهتة ليودع غيث رومينو قائلًا له وكأنه سيفهمه:

_سنكمل حديثنا يا صديقي مرة آخرى

وانصرف مع إبنه لتأتي تقي تجلس على نفس صخرة غيث أمام رومينيو دون أن يراها احد، وتبدأ بظهور جسدها الحقيقي كأيسل حُورية البحر الفاتنة، ثم قامت بتمزيق غطاء رأسها لينسدل أسفله شعرها الطويل جدًا الذي تعدى طوله جسدها باللون الذهبي اللامع وهي تنظر لعين رومينيو مطولة قائلة بلغة فقط هو من يفهمها:

_طال غيابك يا زوجي العزيز...

***

بالجزيرة المجهولة حيث رحلت نور خلف فضولها واستكشافها، ترقد الآن بزاوية لا تعرف ولا ترى سوى صوت صراخها بين الحين والآخر، فتلك البريئة على عمرها الصغير لا تحتمل كل هذا الخوف وحدها، حتى أنها كلما حاولت أن تتجرأ وتنظر حولها لا ترى سوى صورة مشوشة فنظارتها قد وقعت منها في القارب وفقدت وعيها لتقوم وتجد نفسها بغرفة لا يظهر لها ملامح سوى الظلام القاتم والهدوء المرعب.

بدأ صوت اقدام يقترب من غرفتها وكلمها اقترب كلما اهتز جسدها بشدة، سمعت صوت باب يُفتح عليها نظرت وعيونها يغطهما طبقات الدموع لا ترى من الذي يقترب منها، بدأت تصرخ أكثر وأكثر وهي تتمتم بذعر:

_ارجوك، لا تؤذيني، لم افعل شيئا، صدقوني

هنا تحدث الطرف الآخر قائلة بلهفة:

_نور، اهدئي يا نور، خذي نظارتك لقد وجدتها سقطت منك لا تخافي

اخذت نور منها النظارة وهي تشعر بأنها تعرف هذا الصوت جيدًا، وما إن ارتدتها تفاجئت بها...كيف هذا؟

_تقي؟؟؟

كانت هذه اول كلمة تتفوه بها نور بكامل صدمتها، فكيف تقي موجودة معها الآن وهي قد تركتها منذ قليل بالجزيرة؟

.....فلاش باك.....

تركت نور زملائها منصرفة بكل حيرة وانهزام، في البداية ظنت أنهم سيساعدوها ويقفون بجانبها، ولكن ما وجدته بالنهاية أنها مجرد مختلة بنظر الجميع الآن، وأثناء سيرها والدموع تنهمر علي خديها وجدت من يسحبها ويضع يده علي فمها وياخذها بعيدًا عن أعين الجميع لم يكن هذا الشخص سوى تقي!

تفاجئت نور من تصرفها العنيف معها وحاولت التملص منها بعدما ذهبوا بعيدًا عن اصدقائها، واحدها تقول لها:

_معذرة على تصرفي هذا، لقد سمعت حديثك مع الأصدقاء وأريد أن ابلغك بأشياء مهمة ستفيدك.

اكملت نور الحديث معها وكأنها قد نست طريقة خطفها منذ قليل بهذه الطريقة العنيفة وجلست تستمع لها بكل آذان صاغية

وكأن المرء لا يحب أن يلتفت إلا ما يناسب هواه.

وكان حديث تقي يناسب هوى نور جدًا حيث قالت لها:

_كُل ما يحدث معكِ ليست أوهام، أنا اصدقك واؤمن بحديثك

فقبل أن يحدث لكِ، قد حدث معي بالفعل، واتهموني بالجنون.

نظرت تقي بخباثة لعيون الصغيرة التي يبدو عليها الاهتمام كثيرًا بحديثها واكملت بخبث:

_الجميع لا يريد مساعدة العملاق، يحبون أنفسهم فقط، لا يريدون جعل فرد منا بطل للجزيرة، مجرد اطفال دار رعاية يتحكمون بنا كيفما يشاءون.

فتساءلت نور باهتمام وكأنها تريد الدفعة الأخيرة فقط:

_وكيف نساعد العملاق؟

اجابتها تقي بكل خبث وأنتصار، فذلك الذي تريده من وقت دخولها الجزيرة، وها هو يتحقق الآن:

_اهربي كما قالت لكِ ناريمان باحلامك، وسأقوم بمساعدتك قبل طلوع النهار.

لم تأخذ نور بالها أنها لم تذكر من قبل أن الإنسية المحلقة ناريمان التي تأتي بأحلامها قد قالت لها اهربي، وانصاعت لحديث تقي دون تفكير، فهي بالنسبة لها قدوة واكبر سنًا من المؤكد لن تضللها.

وبالفعل قامت بجمع اشيائها، وطلبت من تقي أن تترك رسالة لالياس صديقها تعتذر له؛ لكن الوقت لم يسعفها وقالت لها تقي أنها ستفعل هذا بدلاً عنها، وهربت قبل أن يشعر بها أحد.

***

لحظة وما هذا الذيل؟

جاءت عين نور على ذلك الذيل الجالس أمامها بجانب تقي صديقتها جعلتها تتساءل بداخلها

هل من الممكن أن تقي لم تكن بشرية بالأساس؟ تساؤلات عدة تدور برأس الصغيرة تشعر أنها قد انخدعت فيها. لياتيها رد تقي المسكينة قائلة:

_ارجوكي قبل أن تظنين بي سوء، دعيني اشرح لكِ ما حدث معي من البداية ثم احكمي عليّ

***

بنفس المكان عند البحيرة تجلس نيرة وإلياس بأنتظار عودة صديقهم "ما" الذي استأذن منهم أن يذهب لأبيه ثم يعود مرة ثانية.

كان القلق والتوتر هو ما يحتل قلوبهم من بعد هروب "نور" المفاجئ للجميع، فلم يتوقع أحد أن بين ليلة وضحاها ينقلب الحال بهذه السرعة، لا يعلموا كيف يتصرفون في مثل تلك المصائب فثلاثتهم بعُمر صغير لا يجيد التصرف.

تساءلت نيرة وهي ترى مدى حزن إلياس على نور الظاهر بعينه:-

_هل تشعر بنفس الذي أشعر به؟

فأجابها وعينه معلقة بالأرض:-

_بلى، أضعاف مضاعفه.

تعجبت أنه قد فهم مقصدها بهذه السرعة واكملت:-

_وما هو شعورك؟

فأجاب والدموع تتجمع بمقلتيه:-

_غربة.. أشعر بغربة الآن.

ثم تنهد بضيق وأكمل وهو يحاول إخفاء دموع عينه:-

_ربما كان علينا أن نتشارك كل شيء، حتى فراقنا.

لم يكن هذا مقصد نيرة بالتحديد؛ لكن وجدته يريد أن يفضفض ويطرد ولو القليل من حِمل قلبهُ، فجلست تستمع له ولذكرياتهم وخوفهُ عليها.

ربما لم يظهر كل هذا الحب من إلياس في وجود نور لكنها فطرة بالإنسان أنه لا يشعر بقيمة الشيء وهو يلازمه، لابد من اختفاءه لتثقل كفة قيمته.

بنهاية حديث إلياس وضع رأسه بين كفيه وهو يحاول ألا يفصح بكل مشاعره في لحظة ضعفه الآن، وكتم ما يريد قوله من بين كل هذا الحديث، ليهمس لنفسه بكل قهر:-

_يا غربة قلبي في غيابك

قالها وهو لا يعلم هل يستحق غيابها كل هذا الضياع؟ أم أنه قد ترك قلبهُ لها دون وعي، والان لا يعلم طريق العودة!

كانت نيرة تريد أن تخبره ببداية الحديث أن الخط الذي وجدوه بالجواب لم يكن خط نور بالأساس، ومن الواضح أن هناك من ساعدها على الهرب ويعلم مكانها، لكنها لم تجد فرصة لشرح تلك التفاصيل وأنتظرت عودة "ما" ليفكروا معًا.

***

اخذ غيث نجلهُ "ما" بعيد عن أي تجمعات للأصدقاء، وقصد أن يبتعد به كل هذه المسافة حتى يرفع الحرج عنه، يحاول أن يمزح معه ويفتح أي حديث عن "ليا" وما تفعله تلك الأيام ومدى انشغالها بأوراق الدار ومواضيع لا علاقة ببعضها، وهو لا يعلم أن رأس إبنه تكاد أن تتفجر من التفكير الآن بمصيبة أصدقائه. وصلوا لمكان هادئ بشكل كافي وجلسوا معًا على أحد الصخور، وبدء غيث بفتح الحديث متعمدًا عن صديقته نيرة، حيث قال:-

_اراك تريد أن تنتهي جلستي بأقصى سرعة ممكنة لكي تعود لها، أليس كذلك؟

تعجب "ما" وخاف أن يكون والده قد فهم شيء عن ما حدث ليلة البارحة لكن اطمأن عندما اكمل والده بابتسامة بشوشة:-

_لا تخجل مني، أنا لست والدك فقط

أنا والدك وصديقك واخيك ونفسك إن أحببت.

هل تحبها؟

تفاجئ صغيره من ذلك السؤال المباشر، وتوترت معالم وجهه ليقول بخجل:-

_ما هذا الحديث... أي حب؟ نحن.. نحن صغار على هذا جدًا.

استشف غيث وترجم بسهولة مشاعر "ما" تجاه صغيرته، فهو يقدر هذه المشاعر الطيبة ويعرف كيفية التصرف معها، وجلس يروي له عن نفسهُ

قديمًا، وكيف كانت مراهقته بنفس العمر لديه، هنا كان قد نسى "ما" قليلًا أمر مصيبته، وبدأ يندمج ويسرح بحديث والده، وكيف لديهم طفولة مشابهة رغم اختلاف الاماكن والأحداث، وعندما تأكد غيث أن إبنه قد فتح قلبهُ بالكامل قام بنُصحه وقبل أن يتركهُ يعود لأصدقائه ويذهب بلغهُ بنبرة تفاهمية:-

_تذكر ما قلته لك دومًا، الحب ليس حرام، الحرام هو الإفصاح به قبل آوانه. احفظ قلبك ومشاعرك.. أنت لستُ سيء.. وقوي بشكل كافٍ لتربط على قلبك ولا تظهر ما به أمامها.. أنا أثق بك.

ثم أنصرف وعلى وجه "ما" إبتسامة تخرج من قلبه قبل أن ترتسم علي فمه، فقط أزاح والده عنه تفكير مفرط كان يحملهُ وحده ولا يجيد حتى التعبير عنه.

تذكر أصدقائه الذين ينتظرونه، وقام مسرعًا عائد لهم وهو يفكر كيف ستمر هذه الأزمة، وماذا سيحدث لهم الأيام القادمة؟

***

عاد "ما" لأصدقائه وجدهم كما تركهم لا جديد، يجلسون والصمت يسود المكان، عندما رأته نيرة اخذت تشرح له ما اكتشتفه بالجواب وأنه ليس خط نور صديقتها فهي تعرفه جيدًا كمان تعرف نفسها، تفاجئ الجميع بتلك الثغرة الذكية.

وبدءوا يفكرون مَن هو الشخص الذي يعرف مكان نور ومعهم بالجزيرة؟ ولماذا هربت بمفردها ولم تأخذ ذلك الشخص معها؟

هنا فكرت نيرة بصوت عال قائلة:-

_وربما لم تكن هربت نور وحدها؟ يُمكن أن يكون قد اختفى شخص آخر ونحن لا نعلم!

أنتبه الاثنين على حديثها فهي محقة، هم لا يعرفون ما الذي يحدث بالجزيرة كلها، ليهتف إلياس:-

_اين ماما "ليا" الآن ؟

فأجابه "ما":-

_ابي قال أنه سيذهب لها بكهف أديل ما وأنهم مشغولون بجمع ومراجعة اوراق الدار وأمور مثل هذه.

هم إلياس بالنهوض واخبرهم أن لابد من تدخل الكبار بهذه المشكلة، وأنهم لن يجيدوا التصرف بمفردهم، ولابد من اخبارهم ليعرفوا هل هناك أي اختفاء لشخص آخر غير نور، أم هذا الشخص مازال بينهم!

اتفق ثلاثتهم على نفس الرأي وذهبوا لكهف العملاق وهم لا يعلمون أن الوقت قد نفذ لحل المشكلة، وأنهم وقعوا جميعهم بمصيبة اكبر.

***

بكهف العملاق تجلس ليا وحولها المشرفين يرتبون اوراق الدار ويفرزونها بشكل منمق، لكي لا يمسك عليهم أحد أي ثغرة أو مشكلة، واطمئن العملاق والمشرفين عندها قالت "ليا" بأنتصار:-

_حسنًا أنتهينا، ولا يوجد أي عجز لدينا، اشكركم جميعًا على مجهودكم العظيم طوال هذه الأيام، لكننا الآن مستعدون لأي حملة تفتيش بكل أمان و ...

ولم تكمل حديثها حتى وجدت أحد فتيات الدار تدخل عليهم صارخة:-

_هناك سفينة تقترب من جزيرتنا، لدينا زوار جدد.

فنظر العملاق ل "ليا" بنظرة تعرفها جيدًا قائلًا:-

_لقد أتوا بموعدهم المناسب.

وقبل أن يتم شعورهم بالأنتصار وجدوا "نيرة وما وإلياس" يهرولون لهم ويأخذون أنفاسهم بصعوبة، حاولت "ليا" أن تقول لهم أن ليس لديها وقت لاقتراب اللجنه على الجزيرة وان يأجلوا أي مشاكل خاصة لوقت لاحق، لكن فاجئها إلياس بقوله:-

_نور هربت من الجزيرة البارحة، وتركت هذه الرسالة...

وأكمل عليهم المصيبة دخول سُليمان الصغير وهو يصرخ ويبكي قائلًا بتلعثم:-

_تقي اختفت.

انصدم الجميع من قول الصغار، أي مصيبة هذه التي وقعت عليهم بالدقائق الأخيرة!

كيف يتصرفون وقد وصلت اللجنة ونفذ الوقت! قرأت "ليا" الجواب الذي تركته نور، وشعرت بالدوار اثر الصدمة

لحقها غيث واجلسها وأخذ الجواب نظر به ثم أعطاه للعملاق وكأنه يقول له "انقذنا من هذه الورطة".

احس العملاق "أديل ما" بالخذلان، فكل ما حدث يُكمن بأسرار جزيرته، وأنه غير قادر على الحفاظ عليهم، فقال لهم بصرامة وكأنه قد حسم أمره:-

_استقبلوا الغرباء، ودعوهم ينهوا ما جاءوا لأجله، وأي خطأ أنا صاحب الجزيرة وأنا المسؤول، لن يتضر أحد منكم.

سمع الجميع كلامه، وتحركوا سريعًا لجمع الأطفال وبداخلهم يدعون ربهم أن لا يركز أحد منهم بالعدد ويكتشف غياب فردين من الأطفال وان تمر الليلة بسلام.

دخلت اللجنة الجزيرة وكانت تتكون من أربع سيدات في مقتبل الخمسينات و مثلهم سبع رجال يرتدون ثياب رسمية.

كانوا عددهم أكثر مما توقعوا، فكان من المعتقد إرسال فرد أو اثنين بالكثير، ولكن إرسال إحدى عشر فرد فهو عدد كبير للتفتيش، ومن

الواضح أن عدد البلاغات المرسلة يؤكد لهم أن هناك جرائم مؤكده بالجزيرة، لذا أرسلوا كل هذا العدد.

كانت وجوههم غير مبشرة بالخير، حيث تحدثوا برسمية كبيرة دون ترحيب وكأنهم يعلنون الحرب من البداية، بدأ كل فرد منهم يتولى مسؤوليته في التفتيش، ويطمئنون على صحة الأطفال وعلى اكواخهم وطعامهم وكل شيء يخصهم، حتى جاء موعد فرز الاوراق والمستندات، وجدوها كلها سلمية بلا أي أخطاء وتعمد أحد أفراد اللجنة أن يتأكد من العدد الموجود بالجزيرة ليطابقه بالاوراق، وهنا قد اكتشفوا العجز الموجود، لينقلب الحال ويتهمون العملاق بأشياء لم يفعلها، ويؤكدون أن هذه الجزيرة ستكون عبرة لمن حولهم، وسيتم إغلاقها ومحاكمة العملاق أو ربما إعدامه لكونه كائن ليس ببشري وخطر على المجتمع، ورحلت اللجنة وهي تتوعد لهم بكل شر، وأنتهى اليوم والجميع في صدمة وحزن بالغ على ما أصاب جزيرتهم البريئة.

***

"بجزيرة الحُوريات..."

جلست نور مع تقي تسمع لها وهي تسرد قصتها من بداية ما جاءتها الإنسية ناريمان بأحلامها، لتلك الأحجار التي كانت تجدها صدفة في طريقها وتحتفظ بها في غرفتها دون أن تقول لأحد، وعن افتقادها الشديد لصغيرها سُليمان والتي قررت أن ترحل من الجزيرة بعدما اطمأنت أن الحورية آيسل ستكون مكانها بالجزيرة لحين عودتها مرة آخرى...

وتفاصيل عدة لم تنتهي، جعلت نور تتشتت أكثر ولا تعرف ما سبب وجودهم الأساسي هنا بالجزيرة؟ ومَن هم الحُوريات ولماذا يفعلون كل هذا بهم..

وخلال حديثهم استأذنت الحورية ناريمان الدخول لهم الغرفة، كانت هذه اول مرة نور ترى ناريمان بالحقيقة ليست بأحلامها فقط، كانت مبهرة وجميلة وذيلها ذات ألوان خرافية، لا تنكر أنها قد اعجبت بها بل مبهورة، ولكن لم تظهر هذا على ملامحها فبالطبع هي تشعر الآن أنها مخطوفة هي وصديقتها وأنها قد خدعتهم لحبهم في العملاق، فبدأت ناريمان تسرد لهم ما لم تقوله لأحد من قبل، تسرد ما لا يمكن لعقل بشري ان يتحمله.

لعنة...فراق...قوانين!

وبعدما أنتهت من سرد الحكاية الطويلة طلبت منهم أن يشاركوها في حل تلك الأزمة وان يظلوا بالجزيرة لمدة بسيطة حتى يكتشف العملاق اختفاءهم ويبحث بنفسه عنهم ووقتها سيكون كل شيء على ما يرام وستزول اللعنة. كل ما قالته ناريمان يشبه الأفلام الكارتونية، خرافات قديمة وحُوريات يحاولن حلها، ما كل هذا؟

تشتت تقي ونور بالبداية ولكن تقي أكدت على أنها رأت الملكة بنفسها وان حديثها شبه اقرب للحقيقة، وأنهم سينتظرون اسبوع واحد فقط معها بالجزيرة، إن لم يحدث جديد سيهربون أو يبلغون الملكة الوردية ويخبروها بكل شيء.

ولكن تفاجئوا بعودة الحورية آيسل تدخل عليهم برفقة صديقتهم المتسترة عليهم شودي، نظرت ناريمان لها بصدمة قائلة:-

_ما الذي آتى بكِ الآن؟

اخذت آيسل أنفاسها قائلة:-

_لقد جاءت لجنة التفتيش بالجزيرة وكنت بالبحر وقتها، خُفت أن يراني أحد بهيئتي الحقيقية فهربت.

تساءلت تقي بدهشة:-

_هذا يعني أنهم سيكتشفوا غيابي أيضًا مع نور، وربما يظنون أنني من خطفتها!

يا لها من كارثة لم تكن على البال.

ثم تابعت ناريمان برعب:-

_سينكشف أمرنا جميعًا، إن رأي أحد غيرنا تقي ونور بالجزيرة، وستعرف الملكة، ارجوكم كونوا حذرين أن لا تفارقوا هذه الغرفة، هذا آخر امل لدينا.

وافق الجميع ولم يجدوا حلًا آخر، واخبرتهم ناريمان أن الحورية شودي ستلازمهم هذه الأيام وتقضي طلباتهم حتى لا يظهروا بالخارج أبدًا، ومر يوم فقط على هذا الحال ولم تتحمل نور ذلك السجن المظلم، وبدأت تشعر ويوسوس لها شيطانها أن الجميع يخدعها وقررت أن تغير مسار الإتفاق بنفسها.

***

باليوم التالي والذي بدءَ على غير عادة النشاط والحيوية لدى الجميع، ف الحزن قد سكن قلوبهم والخوف احتل وجوه الصغار بعدما سمعوا بخبر اختفاء نور وتقى منهم من اعتبر أن هناك لعنة تأخذ الصغار، ومنهم من ظن أن يوجد جن ياكلهم، وخرافات عديدة بدأت تظهر بالحديث بينهم.

ورغم كل ما يحدث، فلم ينوي أحد الرحيل والهروب من الجزيرة كما توقعت ليا، فوجدت كل المشرفين والإداريين يقفون معهم أسرة واحدة، وكان ذلك الشيء الوحيد الإيجابي بكل هذه المصائب.

طلب العملاق الاجتماع ليلًا بكل ما يعلم شيء عن هذه الكارثة، وجاء المساء واجتمع غيث وزوجته وصغيرهم ومعه نيرة وسُليمان الذي لم يفارق حضن "ليا" من شدة خوفه طوال الليلة الماضية.

أما عن إلياس فرفض حضور الاجتماع لشدة اكتئابه وحزنه وقرر أن يجلس عند البحيرة بمفرده لعل تلك الإنسية التى قالت عنها نور تظهر ويعرف مكانها.

***

استمر النقاش بين العملاق والأطفال وكل مَن يعرف معلومة قالها ليحاولوا ربط الأحداث ببعضها، تفاجئ العملاق بقصة تقي مع ليا عندما حدثتها أنها ترى اشياء عجيبة بأحلامها ولم تبلغه ليا واعتبرتها مجرد خرافات، وتفاجئ أن يحدث نفس الشيء بعد سنوات ل طفلة آخرى وهي نور، وايضًا أساؤوا التصرف معها وهذا ما أدى بهم لحالهم الآن، اختفاء اثنين من الجزيرة ولا يعرفون أماكنهم.

اراد "ما" أن يذكر هو أيضًا الحجر الزمردي الذي وجده ولكن تراجع عندما شعر أن ذلك سيزيد من قلقهم، ففضل الصمت لأن الوضع لا يحتاج المزيد بتاتًا.

انتهى الاجتماع بينهم بأنهم سيفتشون الجزيرة من صباح اليوم الجديد، ويبحثون عن أي دليل يوصلهم بالأطفال.

أما "ليا" فأتفقت مع أبنها "ما" أن يتولى رعاية سُليمان بدلًا عنها لحين حل تلك المصيبة الطارئة. وأخذ "ما" بالفعل سُليمان معه كوخه واطمئن عليه حتى غاب في نومه وقرر أن يذهب لمكانه بالغابة لعله يجد نيرة بنفس المكان ويفكرون سويًا.

***

بالبحيرة يجلس مهزوم وحيد مشتت يشكو همه بقلبه المعتصر لتلك السماء الساكنة، يتمنى أن يهدأ ويستكين قلبه ولو للحظة واحدة. وكيف يحدث هذا، وقد رحلت شطر قلبه المفقود! يعلم أنه قد اهملها كثير، واستهان بمشاعرها لكن يجزم بداخله إن عادت له، سيحارب الثانية التى تشغله عنها، والأصوات التى تشوب حديثها حتى الهواء الذي يزعجها، لكن تعود...

لم يعرف إلياس ما الذي يفعله بجلوسه الآن أمام البحيرة اللعينة تلك، لكن يأمل أن يحدث أي شيء، أي شيء يدل على طريقها وسوف يلقي بنفسه للجحيم لأجلها. يجلس على الرمال ويضع يده خلف ظهره وكأنه بأنتظار شيء متأكد من حدوثه، وكان محق في مشاعره. حيث وجد قوقعة تلقى عليه من البحر وكأن هناك من ألقاها باسفل المياه اخذ إلياس القوقعة وبدأ يقلبها بين يديه، لا يفهم ماذا يفعل بها؟ يبحث عن أي كلام مكتوب عليها؛ لكنه لم يجد شيء مطلقًا، ف ألقي بها على الرمال وهو يلعن بداخله تلك الألاعيب الشيطانية.

جلس يتذكر حديث نور كله كأنه يعيد آخر لقاء بينهم ف الغابة احجار..إنسية...أحلام.... رسائل خلال قواقع... إنقاذ الجزيرة.... لحظة... ماذا؟

أنتبه إلياس فجأة وهو يتذكر الرسائل المسموعه التى كانت تسمعها نور بالبداية، وأخذ يتلفت حوله يبحث عن القوقعة التى رماها منذ قليل، وجدها ووضعها عند أذنه بإحكام فوجدها تقول:-

_تريد أن تذهب لها ؟

كان الصوت غير محدد ولكنه غير أنثوي، صوت مشوش بعيد هادئ.

لا يعرف إلياس كيف يجيب على تلك الرسائل فقرر أن يجيب البحيرة نفسها، واردف بصوت عالي:-

_نعم، قل لي أين هي!

فاستجاب له مَن تحت الماء واللقى عليه قوقعة أخرى تقول:-

_خذ قاربك، وسأقودك إليها بنفسي.

لم يعطي نفسه فرصة للتفكير، وركض لقاربه بسرعة وأخذ يجدف حتى ابتعد عن الشاطئ، ووجد قاربه يتحرك بمفرده بسرعة كبيرة، وكأن هناك بالاسفل من يدفع القارب ويحركه.

_أنت هنا!

قالها "ما" مفاجئ بوجود نيرة بنفس المكان كما توقع، لتقول هي بحزن:-

_اعلم أنك ستأتي، اشعر وكأن الليلة لن تمضي، عيني ترفض أن تغفو، وعقلي سينفجر من التفكير.

جلس أمامها وهو يزيح الرماد من النار ليقل حجمها وضوئها، قائلًا:-

_لا شيء يستمر، سينتهي مثل هذه.

تعجبت من ثباته الانفعالي، حتى ظنت أنه غير مهتم بكل تلك المصائب من حولهم، فقالت متهربة من ظنونها:-

_إلياس بحالة صعبة جدًا، لابد أن نكون بجانبه، هل ستأتي معي؟

فتابع هو باهتمام:-

_بالتأكيد.

وذهبوا معًا تجاه البحيرة، ليتفاجئوا بهروب إلياس، والذي رأوه بعينهم يبحر بعيد بسرعة رهيبة، ظلوا يصيحون بإسمه ولكن اختفى أمام عينهم وهم عاجزين عن توقف المصائب المتتالية على رؤوسهم.

***

"إلياس..."

الحياة لا تفتح أبوابها لمعدومين الظهر، لكنها فعلت معي. فعلت معي ذلك عندما تغيرت حياتي بعُمر صغير جدًا من طفل ملجأ مجهول الهوية، لطفل تحت رعاية عملاق قوي بمثابة العائلة والسند. هنا فقط شعرت أن الحياة قد أرضت عني، و وضعتني بمكان يتمناه الكثير من ملاك العائلات والمناصب. وذلك ما كنت أراه دومًا بنظرات أطفال السياح لجزيرتنا البسيطة، حقًا هم يمتلكون العائلة والمال والحياة السوية، لكننا نمتلك ما هو أعظم، نمتلك الامان، والدفء والاطمئنان. ما كنت اتمنى أكثر من ذلك بحياتي، واعتقد جميع أفراد الجزيرة مثلي، فذلك العملاق بث بقلوبنا الحياة بعد موتها، واهدأنا ما لم يفعله المال. استقرت الحياة معى إلى أن أتممت العاشرة من عمري، وهنا كان من المفترض أن يُطبق علىّ قانون الجزيرة مثل الجميع، وهو تولي مسؤولية طفل. بداخلي تمنيت أن يأتي حظي مع طفل ولد وليست بنت، وذلك لأنني أعلم أن البنات بجزيرتنا يحتاجون لمراعاة واهتمام أكبر من الولد، واعتقد أن ذلك يعود لفطرتهم بالأساس، فتقلباتهم المزاجية أكثر من عشب الجزيرة تقريبًا.

ولسوء حظي وكأن الحياة تنتظر مخاوفك لتحققها، قد جاء دوري لرعاية الطفلة "نور". لا أنكر أنها كانت الطفلة الاكثر ذكاءً التي رأيتها بحياتي،

لكن عُقدتي لازمتني وجعلتني اعاملها معاملة الصبي، حتى أنني بت أناديها أنور بدلًا من نور، خوفًا من تدليلها بشكل مفرط فينقلب السحر على الساحر كما يقولون.

فتتبعت معها اسلوب قاسي بعض الشيء عن عمد، خصوصًا أنها كانت دومًا تشعرني بأنها ليست طفلة وتفهم ما يسبق عمرها بسهولة، مما جعلتني أشعر بأنني الطفل في تلك العلاقة وليست هي. توالت السنين وأصبحت هي أقرب الاقربين بالنسبة لي بعيد عن رعايتها. تسمعني، تنصحني، تهون وتيسر أفكاري السوداوية. كانت الملجأ السري وصندوق أسراري، واعتراف بسيط..كانت تسمعني وتحفظني بشكل يفوق استماعي واهتمامي بها. اكبر مشاكلنا بالحياة كانت مشاكل مصطنعة، وكأننا لا نجد ما نكشوه ف نصنعه لكي نجد محتوى جديد بيومنا، حتى جاء المحتوى الحقيقي.

بدأت نور تحكي أشياء غريبة تحدث معها، بالبداية كنت اعتقد أنها تصنع ذلك من فراغها، لكن تطورت الأحداث يوم عن يوم

وبدأت تسرد لي ما سمعته أنا من تقي بغرفة "ليا" قبل سنوات، تقريبًا نفس الأحداث باختلاف الزمن.

بداخلي قلقت وظننت أنها لعنة بالجزيرة تصيب الفتيات، وخوفي عليها جعلني اقسو أكثر. مرة اكذبها، ومرة اغير مجرى الحديث لعلني اجعلها تنسى الأمر وتنشغل بغيره. ولكن كل حساباتي كانت مخطئة، بدأت

تتهرب من لقائي بها، وترفض الحديث معي بشكل كلي، وقتها علمت أن تصرفي معها كان خطأ، ولكني أردت تصحيح ذلك. حتى جاءت الليلة التي تتبعها هي وصديقتها "نيرة" ووجدتهم متجهين للغابة، وتلك الليلة هي الاسوء بعمري كله. حيث أكمل على خطئي صديقي "ما" وقسى عليها أكثر مما فعلت أنا، وازداد الأمر سوءًا واختفت هي. اختفت قبل أن ارمم ما فعلته بها كل السنوات الماضية. اختفت قبل أن أعتذر واعتذر واعتذر عن كُل مرة خيبت ظنها بي كراعي لها وكصديق. لم اتحمل غيابها، وبدت الدقيقة جبل يمر من فوقي يهشمني كما هشمتها من قبل.

أيقنت أن بالجزيرة لعنة تريد أذية الجميع، وذهبت للبحيرة وكلي ثقة أن هناك ما يريد المزيد من الضحايا، ذهبت له بإرادتي متعمد اختياري كضحية جديدة لهم، لكن يجعلوني أراها، اراها فقط ولو لمرة أخيرة ويحدث ما يحدث.

وعندما جاءت اللحظة والفرصة الوحيدة لم أتردد وذهبت لقاربي بدون ذرة تفكير ووجدت ما يحركني ويذهب بي نحو الظلام، سمعت أصوات اصدقائي من خلفي، ولكن لا شيء يمكننه ايقافي عن لقائي بها.

ظل القارب يتحرك بسرعة جنونية بالظلام حتى توقف بعد وقت طويل عند شاطئ مجهول ساكن تمامًا.

اعتقدت أنني سأجد "نور" به وظللت أنادي بأعلى صوتي، ولكني لم أجد أي أشخاص، وكأنه شاطئ مهجور بلا سكان.

ظللت مكاني حتى شق نور الصباح سماء الشاطئ وبدت معالمه تظهر أكثر، فظهرت جزيرة مثل غيرها لكن بلا سكان

جلست على أحد الصخور بالشاطئ أنادي وأحدث نفسى كالمجنون، لماذا أنا هنا، واين نور؟ ولماذا كل هذه الألغاز!

حتى وجدت صوت يصدر بالماء، وذيل يتحرك ويطفو على سطح الماء، ذيل حورية باللون الذهبي!

جاءت نحوي وكأنها تُلبي ندائي، حورية بحر حقيقية مبهرة، تسارعت دقات قلبي وأنا أراها تنظر لي وتجلس على صخرة بجانبي وهي تدندن وتفعل صوت صفير كأنها تغني!

بالبداية استعجبت كثيرًا ما تفعله، فكل ذلك قد أطفأ رهبتي من ظهورها ووجدتها تقول موجهة حديثها للبحر:-

_هيا تساءل، لا يوجد وقت كبير.

وجدتني أقول لها بتلعثم:-

_اين نور؟

فرفعت يدها مشاورة على صخرة كبيرة بمنتصف البحر يكسوها العشب قائلة:-

_هناك، خلف تلك الصخرة.

كان حديثها يشبه السخرية فليس هناك أي شيء يظهر خلف الصخرة وتساءلت بعدما أثارت غضبي:-

_أنا لا امزح معكِ، أين صديقتي؟ وكيف خلف الصخرة وهي تحيطها البحر من كل مكان!

فقالت كلماتها الأخيرة وكأنها مُكلفة بإرسال هذه الكلمات فقط:-

_وأنا لا امزح أيضا، صديقتك خلف تلك الصخرة، لكن لا يمكنك الذهاب بمفردك، لابد من وجود صاحب اللعنه لتجد صديقتك، وإن أردت أن تعرف مَن هو صاحب اللعنه، فعليك بمراجعة الأحجار.

ثم هربت رغم تساءلي لها، فلم تجيب وابحرت حتى اختفت من أمامي، لكن كلامها ظل عالق بعقلي

"صاحب اللعنة، مراجعة الصخور"

لم أجد حل إلا إنني اعود لجزيرة العملاق من جديد، وافتش عن الأحجار التي قالت عنها الحورية...

اخذت من الأشجار ما يكفيني من ثمار، فأنا لا اعلم أي وقت سأخذه فى طريق العودة، فأنا بالأساس لم أرى الطريق ليلًا وكان هناك ما يحركني.

اعتمدت على قوة ملاحظتي وضللت الطريق أكثر من مرة، وأخذت أبحر هنا وهناك حتى مر ليل وصباح وصباح وليل ولا اعرف ما المدة التي أخذتها بالتحديد حتى عُدت....

"ما الصغير..."

أخطأت وخطئي لا يُغفر، وإن غُفر، فلن أغفر لنفسي أبد الدهر... تلك الجملة العالقة بذهني دومًا، لطالما أعتقدت أنني الفتى الأكثر عقلًا وحكمة عمن حولي. وذلك يعود لنشأتي وتربيتي على يد العملاق "أديل ما"، لن أقول عنه صديق أو أب، فهو بالنسبة لي نفسي. أرى نفسي به طوال الوقت وأحاول أن أكون نسخة مستنسخة منه، وأحاول بقدر المستطاع تقليده بكل التصرفات، لكن مع أول موقف حقيقي وضعت به أخطأت خطأ كبير أدى لما نحن عليه الآن. كوارث متتالية تقع فوق رؤوسنا والنتيجة ستكون إيذاء أغلى الأشخاص لدى. سيُحاكم العملاق بتهمة باطلة لم يفعلها، والسبب هو أنا. إن كنت احسنت التصرف مع صديقتي "نور" ما كان حدث كل ذلك. وإن كان يبدو الثبات على مظهري أمام الجميع، فذلك نابع من إيماني بالله لقوله "إن مع العسر يسرا" تعسرت واشتدت عسرًا، إذًا فمن المؤكد اليسر آتي وقريبًا جدًا. عندما أتت اللجنة لجزيرتنا وهددتنا بمقضاة العملاق، واختفت نور وحدث كل ذلك كان بداخلي ثمة أمل يقول لي أن نور ستعود وستزول الشدة. لكن كانت الصدمة الحقيقية والتى جعلتني افقد اعصابي عندما وجدت صديقي إلياس يفر هاربًا أمام عيني بقاربه ولا يستجيب لندائنا، وكأنه مغيب ولا يشعر بما يفعله أو أن هناك لعنة تتحكم به. فكيف يفعل ذلك وهو يعرف

أن غيابه سيزيد الأمر سوءًا وسيتم إتهام العملاق به أيضًا. وقفت مكاني برفقة نيرة لا نعرف كيف نتصرف ف وقت متأخر مثل هذا؟ هل نركض ونبلغ العملاق؟ أو ننتظر لعله يعود ومعه نور؟

جلست على الرمال امسك برأسي الذي كاد أن ينفجر، أردد بعدم استيعاب:-

_كل هذا بسببي، أنا السبب، أنا مَن فعلت كل هذا منذ البداية.

وجدت صوت بكاء نيرة يبدأ بالظهور وذلك ما افاقني من غيبوبة افكاري هل يجب عليّ تهدئتها ومواساتها الآن، أم يجب عليّ البكاء معها؟ صحيح أنا الأكبر سنًا وعقلًا، لكن هل ليس من حق الكبار البكاء والصراخ مثل الأطفال ؟

مصائب متتالية لا يتحملها عقلي، وشعوري بأنني المذنب الوحيد هو ما يقتُلني. طال الصمت بيني وبين نيرة التى تبكي وتحاول إخفاء دموعها ومسحها سريعًا قبل أن أراها، ووجدتها تقول محاولة الثبات وتغيير نبرة صوتها:-

_ماذا سنفعل ؟

_لن نقول لأحد عن غياب إلياس، الأمر لا يحتاج المزيد من التوتر، ربما يعود قبل أن يتم اكتشاف غيابه.

قُلت ذلك بثبات محاولًا إخفاء حرب أفكاري عنها، فتلك الصغيرة لا ذنب لها بأن قدوتها ومُربيها يكون بكل ذلك الضعف. نظراتها تجاهي كانت

غير مبشرة وكأنها تحتقرني أو تريد الإبتعاد بشكل غير مباشر، وبالفعل استأذنت وذهبت وتركتني اواجهه حربي بمفردي. ارخيت جسدي على الرمال مسند رأسي بيدي، انظر للبحر لعله يعيد إلياس كما رحل، حتى غفوت رغم عني وجاءني حلم غريب لا اعلم هل هو تخاريف؟ أو رسالة من رسائل البحر الغامضة!...

***

"نور..."

لم أرى نفسي فتاة متميزة ابدًا، وتأكدت من ذلك عندما حالفني الحظ لأقع مع مُربي ينادديني ب أنور بدلًا من نور وكأنني ذكر وذلك الخمار على رأسي لا يلفت أنتباهه. لا يهمني كل تصرفاته الحمقاء، بالنهاية اصبحنا اصدقاء بدرجة كبيرة بعيدًا عن أنه المسؤول عني، وأكتشفت بداخله طفل عفوي وثرثار أكثر مني ذو أحلام وطموحات حماسية. لكن التميُز الحقيقي الذي شعرت به كان بداية اللعنة، أن تختارني الجزيرة لإنقاذها كان ذلك بمثابة الشعور الأفضل. فمَن أنا كي تختارني الجزيرة وتفضلني عن بقية الأطفال؟ لم اكن مميزة بأي شيء، وذلك ما دفعني للتعمق والتمسك بتلك العلامات والركض خلفها. حاولت أن أشارك إلياس الأحمق ما يحدث معي خطوة بخطوة لكن لم يكن بنفس حماسي، ولم يشعرني بأهمية حديثي وما يحدث لي. حينها قررت أن احتفظ بتميزي ذلك لنفسي، حتى طلبت مني الإنسية ناريمان بأحد الاحلام الرحيل من الجزيرة، هنا كان من الضروري أن استشير أي شخص يرشدني للطريق الصحيح، لكن خاب ظني بجميع الأصدقاء عندما اتهموني بالجنون والخرافات. وكانت تقي هي حبل النجاة عندما صدقتني وشجعتني أن أرحل، رحلت وقلبي يعتصر خوفًا واشتياقًا للجزيرة التي نشأت بها ولم اغادرها لحظة واحدة طوال حياتي، لكني هربت على أمل

أن أُعيد للجزيرة ضالتها كما وعدتني الإنسية ناريمان، التى لم تكن إنسية بالأساس ووجدتها حُورية بالنهاية. عندما وجدت تقي هناك، في البداية ظننت بها ظن السوء، لكن عندما سردت لي قصتها وما حدث معها علمت أنها انخدعت مثلي تمامًا. وعلى الرغم أن الحُورية ناريمان بدت صادقة بحديثها عن الملكة التى أكدت تقي أنها قد رأتها بأم عينها، إلا أن ثمة شيء بداخلي قلق بشأنها.

ولم يهدأ لي بال بتلك الحبسة في الغرفة المغلقة، واتفقت مع تقي أن لابد من مواجهة الملكة ومعرفة إذا كان هناك لعنة بالفعل كما أخبرتنا ناريمان أو أنها أكذوبة وربما نكون عنصر الضحية بها. فلا يصح تصديق الأشخاص من مجرد مظهرهم اللامع فقط، فهناك ما يلمعون وبداخلهم عتمة تفوق الليل القاحل. وبرغم من فارق العمر بيني وبين تقي إلا أنها وافقتني نفس الرأي، واتفقنا على خطة بسيطة تجعلنا نخرج من الغرفة بسهولة. وباليوم التالي بدأنا تنفيذها بالفعل حيث قامت تقي بنداء الحورية "شودي" المسؤولة عن طلباتنا أو بالتحديد تقف لحراستنا ليس إلا.

وعندما دلفت لنا الغرفة طلبت منها تقي أن تذهب وتخبر الحورية ناريمان أننا نريدها بموضوع ضروري الآن، وعندما ذهبت وتأكدنا من غيابها تخلصت تقي من ذيلها التي كانت ترتديه وتسللنا بسرعة دون أن يرانا أحد خلف الاشجار، حيث أخذت تقي طريق معين هي تعرفه لأنها قد ذهبت به من قبل، ووصلنا لقصر الملكة المثمر، وكما قالت عنه تقي

مبهر بشكل يفوق استيعاب العقل. حاولت ألا يشغلني كل ذلك وركضت خلفها امنع نفسي من النظر حولي حتى وصلنا إلي بوابة غرفة تشبه عالم كارتوني مبدع، دلفنا لتلك الغرفة وانفاسي تكاد تنقطع من الركض والصدمة بنفس الوقت.

حيث رأيت ملكة مثمرة تملؤها الحياة والجمال، تجلس على مقعد ذهبي اللون، تنظر لنا بذهول وكأنها اول مرة بحياتها ترى بشريين.

اتجهت نحونا بنظرات كلها غرابة وكأنها قد وجدت شيء عجيب الوجود، حيث جلست على قدمها متسائلة بذهول:-

_بشر؟ أنتم بشر؟ كيف جئتم لهنا؟ هل معكم أحد بالخارج ؟

فلم تنحل عقدة لساني أمامها، حتى تحدثت تقي بدلاً عني:-

_لقد ضللنا الطريق من عائلتنا، ووجدنا نفسنا هنا بالجزيرة، هل يمكنك استضافتنا لوقت قصير حتى نعود ؟

وعلى غير المتوقع وجدناها قد تبسمت وتنفست الورود من حولها دليلًا على سعادتها قائلة بكل حنان:-

_بالطبع يمكنكم البقاء، أنتم هنا بأمان لا تقلقوا.

وقامت بالنداء على أحد الحوريات قائلة:-

_احضري طعام مناسب فلدينا زوار لأول مرة بالعمر.

ادعيت غباء الأطفال وتعمدت أن أكون سخيفة وثرثارة بأسئلتي معها كي نعرف عنها أي معلومات، لكن لا شيء قد صدمنا بقدر تلك اللوحات الموجودة على الحوائط ولم نراها منذ دخولنا الغرفة، حيث وجدنا.....

***

استيقظ "ما" بعد غفوته الطويلة على صوت نيرة العالي، ليجد نفسه ممد على الرمال كما هو من ليلة أمس، أستفاق بفزع قائلًا:-

_ما الذي حدث! هل اختفى شخص آخر؟

لتتفوه نيرة بنبرة ساخرة وغاضبة بنفس الوقت:-

_نعم أنت

ثم تتابع حديثها قائلة بغضب حقيقي:-

_أنت تهذي؟ تنام هنا وتترك سُليمان بمفرده في كوخك حتى صرخ الصغير وظن انك اختفيت مثل تقي ونور، قل لي لماذا فعلت ذلك لقد ارعبتنا، والجميع يبحث عنك بكل مكان.

فرك رأسه بنعاس يحاول أن يتذكر كيف غاب في كل ذلك النوم قائلًا:-

_لم ادري بنفسي، جلست أنتظر إلياس ولم أشعر بشيء من بعدها و و و حلمت بحلم عجيب و

لم يكمل كلامه وقاطعته نيرة بغضب:-

_ماذا تقول أنت؟ تتحدث عن الاحلام و والديلك يموتون فزعًا عليك، هيا قم الجميع قلق بشأنك.

قالت ذلك ثم ذهبت وقام هو الآخر ذاهبًا خلفها، ليجد والديه والعملاق وبعض الأطفال والمشرفين يقفون أمام كهف العملاق وعلى وجوههم ترتسم ملامح القلق وبأنتظار عودة نيرة تقريبًا، وما إن رأته "ليا" ركضت نحوه تحتضنه بشده وتبكي وكأنه غاب عنها منذ فترة.

تفهم "ما" قلقها وخوفها واعتذر لها عن غيابه الغير مقصود.

وعندما هدأت الأمور واطمئن الجميع، أخذ غيث زوجته وجلس مع العملاق واخبرهم أنه لابد أن يرحل ويتابع تلك القضية المقدمة ضدهم وسيأتي عندما يصل إلى حل قانوني ورفع محامي للدفاع عن العملاق.

ورحل تاركًا الجزيرة خلفه بأسوء ايام تشهدها على مر السنين.

***

اخذ "ما" سليمان الصغير لكوخه من جديد واعتذر له عن غيابه الليلة الماضية، ووجد نفسه يفضفض معه كأنه شخص عاقل كبير، فقد فاض به الأمر وأخذ يسرد له اشياء تفوق عقله، يحاول ربط الأحداث ببعضها وهو يذكر القواقع التى وجدتها نور، والأحلام والأحجار واختفاء أصدقاءه ولكن الغريب أنه تفاجئ بالصغير يردد خلفه:-

_احجار، احجار ملونة، مثل تقي هناك

كان يشير بيده الصغيرة من النافذة باتجاه كوخ تقي، وهو يردد نفس الكلمات بلعثمة وكأنه يريد كشف شيء لا يعلمه أحد غيره، فأخذه "ما"

حيث يشير وذهب ليرى ما يقصده ذلك الصغير بتلك الكلمات الغير مفهومة! ويجد ما صدمه....

***

على جانب مظلم كان العملاق طوال تلك الأيام لا يتحدث مع أحد إلا بالاشياء المهمة المتعلقة بالأمر ذاته، ومن ثم يعود لصمته.

فشعوره بأنه قد فشل في حمايتهم وامانهم لا يفارقه، وأنه قد تسبب في أذية أرواح بريئة بسبب جزيرته اللعينة تلك، يقف عاجز عن التصرف وعاجز عن معرفة السبيل إليهم أصابهُ الاكتئاب الشديد وتدهورت صحته، ومنع أي شخص الدخول إليه لئلا يراه أحد بأقصى درجات ضعفه ومرضه. كل ما كان يهمه إنه يريد الاطمئنان على اطفاله المتغيبين قبل أن تأتي القوات وتعتقله أو تعدمه كما قالوا له.

مرت ليلة واثنان وثلاثة حتى وجد صغيره "ما" يدق بابه بشدة ويلح للدخول صاحنًا من خلف الباب:-

_وجدت طريقة للوصول إلي نور وتقى، ارجوك اسمعني ليس هناك وقت أكثر لنضيعه.

***

دلف "ما" بكوخ تقي الفارغ، وأمامه الصغير سليمان الذي ركض تجاه السراحة الخشبية الصغيرة وقام بفتح درجها، وتفاجئ من وجود عدد

كبير جدًا من الأحجار الزمردية ذات الحروف النوبية مثل التى يحتفظ بمثله منذ أيام.

شكر سليمان على تلك المعلومة وأخذ جميع الأحجار معه، خبئهم بكوخه بعدما حاول قراءة وترجمة تلك الحروف العجيبة، لكنه فشل لعدم معرفته باللغة النوبية القديمة على عكس والدته.

وسرعان ما تذكر أن بالمكتبة الخاصة بهم يوجد كتاب تعليم لغة نوبية، فقرر أن يذهب ويحضره ويحفظ الحروف ويبدأ بحل الكلمات الغامضة لعله يصل لشيء مهم، كل هذا أخذ منه ثلاثة أيام حتى فهم بعض الحروف والكلمات التى تحتويها تلك الأحجار الملعونة، وعندما شعر أنه قد ترجم جزء بسيط وفهم ما تشير إليه الكلمات ذهب سريعًا وبدون تردد للعملاق كي يخبره باكتشافه لحل اللغز.

بالبداية كان يرفض العملاق دخوله بالغرفة لكنه أصر وأخبره أنه قد وصل لطريقة يجد بها أصدقائه الغائبين، ففتح العملاق له الباب بلهفة وهو يتربص لكل كلمة يتفوه بها.

جلس "ما" وبدأ بخروج الأحجار وترتيبها بطريقة عشوائية هاتفًا:-

_تلك الأحجار هي حل لغز اللعنة.

وبدأ بترجمة كل حجر من خلال العودة للقاموس النوبي بالكتاب، حيث وجد حجر يذكر اسم العملاق وبعض الكلمات الغريبة مثل:-

"اذهب_ضالتك_هي_أنت_هناك_جميلة_اديل
ما_حاول_لعنة_اهتزاز_فراق_جِد_سوف_تجميع"
وكلمات آخرى كثيرة، لم يفهم العملاق المعنى من تلك الرسائل، وماذا عليه أن يفعل ليجد اطفاله، وأخبر "ما" أنها مكيدة مدبرة لتأخذ طفل آخر مثلما أخذوا من قبل، فحاول "ما" أن يفكر معه بصوت عالي مردفًا:-
_تلك الكلمات من المؤكد أنها تحمل رسالة، أو تريد اخبارك بشيء الجميع يجهله، فذكر اسمك بينهم ليس صدفة.
فاجابه العملاق بخيبة أمل:-
_مَن يريد إخباري بشيء، لن يلجأ لكل هذه الالعايب، إنها لعنة كما قُلت ولن تنتهي إلا بأنتهائي.
سيطر الإحباط على العملاق، واستسلم لأمره المعهود حيث قرر أن يقول وصيته لصغيره وصديقه الذي نشأ بين يديه، وأوصاه أنه لا يخرج أبدًا تلك الوصية إلا عندما تأخذه القوات ويرحل، فذلك الأمر بات محتوم ولا مفر منه.

***

بالخارج تقف نيرة مع أحد اطفال الدار تحاول أن تعلمه طريقة ربط الحذاء الصحيحة، لتجد صوت يأتي من خلفها قائلًا:-
_من الجيد أنني وجدتك هنا.
هي تعرف صاحب ذلك الصوت جيدًا، تلفتت خلفها بصدمة قائلة:-

_إليـــاس؟ أين كنت؟

فتابع هو بتعب وانفاس متقطعة، وحالته يبدو عليها الإرهاق والمرض:-

_لا وقت لدينا، أخبريني أين "ما" ضروري؟

فأخذته وذهبت معه لكهف العملاق، أستأذنت الدخول أولًا ليتفاجئ "ما" بعودة إلياس معها وركض نحوه يحتضنه بشدة، لم يفهم العملاق سبب تلك اللهفة، فهو بالأساس لم يعرف بخبر اختفاءه الأيام الماضية؛ لعدم خروجه من الكهف.

فجلس "إلياس" وبجانبه صديقه أمام العملاق ونيرة وبدأ يسرد لهم كل ما حدث معه من بداية خروجه من الجزيرة إلى عودته الآن، وحديث الحورية الغامض له، عندما قالت له "إن أردت أن تعرف مَن هو صاحب اللعنة، فعليك بمراجعة الصخور"

نظر "ما" بذهول للعملاق وهو يشير للأحجار قائلًا:-

_كما قلت لك، إنها رسالة، شخص يدعوك للذهاب لمكان معين لتكتشف ضالتك كما ذكر بالأحجار.

فتابع حديثه وهو ينقله إلى "إلياس" قائلًا:-

_هل حفظت الطريق الذي يؤدى إلى تلك الصخرة التي أشارت لك الحورية عليها؟

فأجاب إلياس بتعب:-

_لقد ضللت الطريق أكثر من مرة لدرجة أنني اخذت ثلاثة أيام بالبحر حتى عدت، لكن يمكنني المحاولة مرة آخرى.

وقبل أن يكملوا حديثهم تفاجئوا بخبر اسوء مما يمكن، حيث دخل عليهم....

"جزيرة الحوريات بغرفة الملكة"

صُدمت نور من تلك اللوحات على الجدار والتى كان مضمونها عبارة عن جسد العملاق بزاويا مختلفة، لكن وجههُ غير واضح بأي صورة منهم، لكنها تعرف هيئته جيدًا وجسده العريض الضخم، حتى الجلباب الذي يرتديه لا يختلف كثيرًا عن ملابسهُ.

حدثت تقي بصوت منخفض وهى تتأكد منها:-

_أليس هذا هو عملاقنا؟

فأجابتها بتوتر وهي لا تفهم شيء قائلة:-

_نعم، لكن ما علاقته بتلك الملكة، هل هو أخيها ومفقود؟

رأتهم الملكة يتسامرون بصوت منخفض، فخافت أن يحتاجون لشيء ويخجلون منها، واقتربت منهم بلطف متسائلة:-

_هل هناك شيء تريدونه؟

فهتفت نور بحماس:-

_نعم، لكن لا نريد ازعاجك.

اردفت الملكة بحب:-

_أي إزعاج، أنتم ضيوفي الكرام.

وتابعت نور بتوسل:-

_هل يمكنك سرد قصة ما قبل النوم لنا بالمساء؟

سعدت الملكة بذلك الخبر وكأنها كانت تنتظر أن يُطلب منها هذا منذ زمن، واتفقت معهم أن يناموا معها الليلة بالغرفة وستروي لهم قصة أسطورية، يعود أصولها للتراس النوبي القديم.

آتى المساء واكفهرت السماء وأضاءت ورود القصر، فلم تكن ورود عادية بالطبع، فهي ورود مسحورة مثل الجزيرة ومَن عليها.

جلست الملكة بجانب تقي ونور بعدما قامت بتغطئتهم بغطاء من أوراق الورود البيضاء، وبدأت سرد قصة ما قبل النوم كما طلبوا منها قائلة:-

_منذ زمن بعيد بأراضي النوبة أسوان، وقعت قنبلة نووية على أحد القرى الصغيرة بها، ولا يعلم أحد مصدر تلك القنبلة أو سببها. لم يتضرر أصحاب النوبة بشكل كبير، لكن وجدوا أن بعض الناس تضخم حجمهم بشكل تدريجي للدرجة التى جعلتهم يعيشون بالشوارع لتضخم احجامهم عن حجم منازلهم، وبعضهم لم يحدث معهم أي تغيير وظلوا بنفس حجم الإنسان الطبيعي. تدخلت البلاد العربية بعدما أثارت أخبارهم غضب البعض وشعروا أنهم مهددين بالخطر منهم، واطلقوا على تلك القرية إسم مخيف ليرتعب منهم الجميع. وبالفعل أصدرت القوات المسؤولة حينها بنفى كل المتضررين خلف الجبال، ولم يكتفوا بذلك فقط. بل جمعوا سحرة البلاد وجعلوهم يلقوا عليهم لعنة بعدم الإنجاب؛ لعدم تكاثرهم بالبلاد.

واستقروا المتضررين خلف الجبال المنفية، وجعلوا من بعضهم حكام ومسؤولين يرجعون إليهم؛ ليعيشوا حياة طبيعية مثل الجميع. ولأن مقدرة الخالق تفوق الخلق، انجبوا السيدات بشكل طبيعي بدون أي لعنات كما قالوا السحرة لهم. لكن في اغلب الأحيان كان يموت الطفل عند بلوغه السبع سنوات، رغم أن أعمار المتضررين تعدت آلاف السنين. حزن الكثير منهم وأحبط، وأصدر حاكمهم قرار أنهم سيلعنون نسلهم قبل أن يلعنهم غيرهم. فجعل كل أم تقوم بالانجاب تأخذ طفلها بعُمر الخمس سنوات وتتركه بأرض مهجورة بعيدة كل البعد عن أي مخلوقات، وتُلقى عليه لعنة باختيارها ولتكن لعنة الحزن، لعنة الكسل، لعنة الغباء. ويتركوهم ويذهبوا بعدما يتركوا للطفل كتاب يحدثه عن ماضيه ومسجل به إسم عائلته وموطنهم الأساسي، وعلى كل طفل أن يتغلب على لعنته أولاً ثم يعود لموطنه إذا أحب العودة. وذلك القرار من الحاكم لم يكن بسبب تأكيده أن بذلك الشكل سيضمن نجاة الطفل من الموت حاشا لله، هو فقط اقنعهم بذلك القرار أنه السبيل الوحيد للنجاة؛ لعدم رؤية أطفالهم يموتون امام أعينهم، عالأقل سيظل بداخلهم الامل أن هناك باب للعودة، وبالفعل ذلك ما حدث. كل عائلة تترك نجلها بعيد ويعيشون أملون بعودته ولقاءه مرة آخرى. وذات ليلة اثنين اصدقاء من نساء خلف الجبال انجبوا بنفس اليوم، واحدة أنجبت ولد، والأخرى أنجبت بنت.

وعندما بلغوا الخمس سنوات من عمرهم تعلق الفتى والفتاة الصغار ببعضهم بدرجة شديدة، حتى أنهم اعتادوا اللعب معًا يوميًا ولا يفصل بينهم غير وقت النوم فقط، فلم يهون على الأمهات أطفالهم وتعلقهم القوي ببعض، وقرروا أن يلعنوهم بلعنة واحدة، وهي لعنة الفراق. وذهبوا بكل منهم بجزيرة فارغة مختلفة، وتركوا الكتاب الذي يُسجل تاريخهم وإسم عائلتهم بجزيرة الفتاة، لأن حل اللعنة عنهم هو أن يجد الرجل فتاتهُ بنفسه. ولكن الشيء الصادم في تلك الأسطورة، أن الجزيرتين المهجورين لم يكونوا فارغين من السكان كما هُيء لهم، كان هناك قبيلتين بحرية يعيشون حياة مستقرة أسفل تلك الجُزر، وعندما أُلقت الأمهات اللعنة على الجزيرتين، حلت لعنة الفراق لدى سكان البحر أيضًا...ويقول الكتاب المتروك مع الفتاة، عندما يصل الفتى لفتاتهُ ستهتز الأرض من أسفلهم اهتزازة فك اللعنة، وتنحل لعنة فراقهم و....

ظنت الملكة أن الفتاتان قد ناموا واندمجت بذكرياتها القديمة، لكن تفاجئت بصياحهم قائلين:-

_أنت الفتاة الملعونة؟ والعملاق هـــو!

***

"جزيرة أديل ما..."

عاد غيث للجزيرة وهو يركض بأقصى سرعته لكهف العملاق وكأن هناك مَن يركض خلفهُ. وقف يأخذ أنفاسه أمام غرفته ولا يفكر كيف يقول له ذلك الخبر المؤسف، لكنه سمع صوت الأطفال بغرفته واستمع لما قاله إلياس بإنصات، وعندما انتهى دلف لهم وهو يتدخل صائحًا:-

_آسف لدخولي المفاجئ، لكن هناك خبر مؤسف لابد أن أخبركم بهِ.

أصدرت الحكومة المصرية قرار بالقبض على العملاق واعتقاله، وهناك لجنة تتجهز لأعتقاله.

ثم تابع وهو يتوسل العملاق خوفًا عليه:-

_ ارجوك ليس هناك وقت، لابد أن ترحل الآن وتجد الفتيات المفقودين لإظهار براءتك.

دخلت "ليا" وهي تؤكد على كلامه قائلة:-

_كلام غيث صحيح، أرجوك أنت الحل الوحيد ف إنقاذ الأطفال.

وقف العملاق يفكر بصمت وهو يرى نظرات التوسل بعيون مَن حوله، خائف أن يهرب ويُعاقبوا هم بدلًا عنه، وخائف أيضًا من مواجهة المجهول وان يحدث مكروه لأطفاله أكثر مما حدث، وكأن "ما" الصغير تذكر شيء غفل عنه ليقول صائحًا:-

_الحُلم!

وعندما تساءلوا أي حلم أجاب:-

_الليلة التي غفوت بها أمام الشاطئ، جاءني حلم عجيب رأيت به العملاق يغادر الجزيرة ويأخذني معه، ونبتعد لمكان غريب لم نراه من قبل، ونجد صندوق كبير على شكل هدية قيمة، فنأخذها ونعود للجزيرة ويهتف الجميع بفرح كأننا عُدنا بكنز منتظر.

تعجب العملاق من تلك الرؤية لدى الصغير، وشعرت "ليا" أن هناك شيء إيجابي سيحدث رغم كل تلك المصائب، لكن العملاق شعر بالقلق تجاه "ما" وطلب منه أن يرحل بمفرده لعل هناك مكروه يصيبه، لكن الصغير رفض وأصر أن يتم الحلم أو الرؤية كما جاءته وهتف بإصرار:-

_لن ترحل بمفردك، سأتي معك.

تكررت نفس الجملة من إلياس وتابعته نيرة أيضًا لتهتف "ليا" مثلهم لكن هنا تدخل غيث معترضًا:-

_لا يمكنك الرحيل معهم، لابد أن نتواجد هنا بالجزيرة لاستقبال أي لجنة حتى يعود العملاق وبقية الاولاد.

وافقته وقلبها منشغل عليهم، وتحرك العملاق بالأطفال نحو الشاطئ وهو يشعر بقشعريرة تجتاح جسده، فهذه تعتبر المرة الأولى التى سيخرج من جزيرته وعليه أن ينجح بإنقاذ الفتيات وإلا سيتأذى الأطفال الذين يرافقوه أيضًا إذا فشل.

وصل الجميع إلى الشاطئ وبدء كل طفل بتجهيز قاربه الخاص، لكن وقف العملاق فى حيرة من أمره وكأنه قد نسى أمر أنه ليس لديه قارب يكفي حجمه، فتساءل بحيرة وحرج:-

_أنا لا أجيد السباحة ولم أجربها ذات يوم، كيف ارحل؟

فصاحت "ليا":-

_أنسيت القارب الضخم الذي صنعته لي أول مرة ؟ جاء دورك الآن لترحل بهِ.

تذكر العملاق ذلك القارب الذي ظل يصنعه بحرفية كبيرة لأمان صغيرته الأولى، والتي عادت به بأطفال الدار أول مرة.

ظهرت عشيرة الرومانيو على الشاطئ وهم يقفون بتأهب وكأنهم يطلبون من العملاق مساعدته. وافق العملاق بمساعدتهم كي يصلون بشكل أسرع، وإن حدث شيء له يحفظون بقية الأطفال. تركوا الأطفال قواربهم وركبوا بالقارب الكبير مع العملاق وانطلقت من أسفلها عشيرة الرومانيو برفقته يحركون القارب كما يشير لهم إلياس لكونه الشخص الوحيد الذي يعرف الطريق. وقفت ليا وزوجها يشاهدون مغادرتهم وهم يعتصرون قلقًا عليهم، لكن لم يكن هناك حلًا آخر.

وعادوا لمشرفين الدار يبلغوهم برحيل العملاق وبعض الأطفال معهم، وكيف سيتصرفوا إذا جاءت لجنة الإعتقال بأي وقت.

وفي صباح اليوم الجديد استيقظت ليا وغيث على أصوات صراخ الأطفال، ركضوا للخارج ليجدوا أن اللجنة قد وصلت مبكرًا والأطفال خائفين من أقنعتهم وعددهم الكبير بالجزيرة، حيث يقومون بوضع حواجز حديدية تحيط الكهف لاعتقادهم بأن هناك حرب ستقام بينهم وبين العملاق.

تدخل غيث ووقف مع الضابط المسؤول عن الحملة وشرح له الوضع كُله، وأن العملاق حتمًا سيعود بجميع الأطفال ويمكنهم فرز عدد الأطفال مرة أخرى والتأكد من صحة كلامه، فقط يمهلهم بعض الساعات حتى يعود، وأنه يثق بالعملاق تمام الثقة حتى أنه قد ترك معه إبنه الوحيد لشدة إيمانه بأنه لن يخذلهم. وافق الضابط بالإنتظار لوقت معين وإن لم يعود العملاق بالأطفال كما قال، سيضطر أن يأخذهم هم وكل العاملين بالجزيرة لاعتبارهم متسترين على هروب العملاق.

***

بعد مرور حوالي خمس ساعات من تحرك القارب، حل المساء عليهم وهم يتحركون بمنتصف البحر. حتى وجد إلياس الصخرة المثمرة التى أشارت عليها الحورية، وانطلقوا نحوها بعدما وقف العملاق أمامهم مستعد لحمايتهم بروحه وجعل الأطفال يقفون من خلفه منتظرين رؤية المجهول.

ومجرد ما عبر القارب الصخرة أهتز بهم بقوة وكأنه يعبر بوابة خفية لا ترى. ووجدوا نفسهم على حافة جزيرة ظهرت من العدم وما إن لمست قدم العملاق أرض تلك الجزيرة اهتزت الأرض من أسفله، وصرخ الأطفال متشبثين به، لكن أمر الاهتزاز لم يكمل الدقيقة وتوقف.....

***

صارحت تقي ونور الملكة بكل ما حدث معهم بعد سماعهم لقصتها، وأن الحُوريات قد وضعوا خطة دقيقة لحل تلك اللعنة دون كسر قواعدها، وأنهم من سكان جزيرة العملاق أديل ما، وقبل أن تعبر الملكة عن صدمتها وجدوا الأرض تهتز من أسفلهم، وصاحت الفتاتان سويًا:-

_اهتزازة فك اللعنة!!...

اخذوا الملكة وركضوا للخارج معها، ليجدوا العملاق يقف وخلفه أصدقائهم. وقف العملاق أمام الملكة ينظر لها بصدمة، لا يصدق هل هذه هي بالفعل؟ هل ما زالت موجودة وليست ذكرى بداخله! ووقفت هي تنظر له بإرتباك، كيف وصل لها؟ هل يتذكرها؟ أو سيتذكر إسمها حتى! أضاءت الجزيرة كلها وخرجت الحُوريات من أماكنهم يشاهدون المشهد الذي أنتظروه من آلاف السنين، وها هو يتحقق أمامهم الآن.

ركض كل شخص من عشيرة الرومانيو على زوجته المفقودة من سنين، وركضت آيسل لزوجها رومانيو والتى كسرت قوانين الجزيرة وعرضت حياتها للخطر من أجله.

وركضوا الأطفال لبعضهم البعض، حيث احتضنت نيرة تقي ونور بشدة وبكاء، ووقف إلياس يمحو دموع فرحته باطمئنانه على صغيرته، وبجانبه "ما" الذي يربت على ظهره بدعم، فهو يعلم مدى خوفه على نور جيدًا ومعنى اختفاء أهم شخص لديك من أمام عينك وشعور الذنب الذي كان يجتاحه. أما العملاق فكان بعالم آخر يواجه ذكريات ماضيه الذي اعتبره خرافات ساكنة بداخله هو فقط.

اقترب بخطوات بطيئة من الملكة وقلبه كاد أن يتوقف من سرعة نبضه، مقتربًا وكله أمل أن تكون هي مَن سكنت بداخله واحتفظ بذكراها لنفسه، وجد نفسه يقول لها بارتباك:-

_آشِري ما؟

ابتسمت هي ودموع فرحتها تتجمع بعينها غير مصدقة أنه مازال يتذكر إسمها ولم ينساها رغم مرور الآلاف السنين.

اومأت له بالإيجاب وهى تقول بخجل، الكلمة التى اعتادت قولها له بطفولتهم ولغتهم النوبية:-

_أرسايرما.

مرت الكلمة على قلبه قبل أذنه، فتلك الكلمة عندما كان يغيب عنها يوم واحد فقط بطفولته كانت ترددها دومًا وهي تعني (افتقدك).

سرت قشعريرة تجتاح جسده وكأنه عاد طفل صغير غير عاقل معلق عينه بأول شعور حقيقي لم ينساه ولم يخرج من قلبه.

وقف الجميع ينظر لجمال لقائهم، منصتين لحديثهم وعيونهم تلمع فرحًا من هول المشاعر المحيطة بهم.

وعندما انتهى اللقاء الأول جلسوا بساحة القصر الخاص بالملكة "أشِري ما" واجتمع الأطفال والحُوريات وعشيرة الرومانيو.

لتتقدم الحُورية آيسل بالاعتذار أمام الجميع وتابعتها ناريمان وأكدوا للملكة والعملاق أنهم فعلوا ذلك لمساعدتهم وفك لعنتهم ولم يقصدوا أذية أي شخص.

تقبلت الملكة اعتذارهم وأرسلت أحد الحوريات تأتي لها بالكتاب التي احتفظت به لسنوات عديدة بغرفتها.

وحان الوقت ليقرأ العملاق كتاب عائلته ويتعرف عليهم وعلى موطنه الأساسي.

وبعدما انتهى من النظر للكتاب، تساءلت الملكة بصوتها الحنون:-

_هل سنعود لموطننا؟

فنظر هو حوله للأطفال العالقين نظرهم به، ليجيب هو:-

_هنا موطني، بجانب عائلتي وعشيرتي و ... وزوجتي.

تفاجئت الملكة من تلك الكلمة، ووجدت كُل الحاضرين يقومون بالتصفيق العالي وتصفير الأطفال بحماس وبهجة.

كان الصباح قد شارف على الاقتراب، وقرر العملاق أن يعود بالملكة معه ولا يتركها ثانية واحدة.

أخذها ومعه كُل الأطفال بقاربهُ وانطلقت عشيرة الرومانيو أسفل القارب وبجانبهم الحُوريات منطلقين لجزيرة أديل ما بمنظر مهيب تقشعر له الأبدان.

اقترب القارب من الشاطئ ورآهم غيث عن بُعد فنادى الجميع على الشاطئ يشاهدون ذلك المشهد المبدع مهللين بفرحة عارمة، حتى الضباط والجنود تفاجئوا من ذلك المشهد وشاركوهم فرحتهم.

حتى وصلوا ارض الجزيرة وانطلقت تقي ونور بأحضان ليا، وتقدم العملاق أمام الجميع بابتسامة أنتصار معلنًا:-

_إن كنت بالنسبة لكم ضالتكم التي وجدتموها، فيمكنني القول الآن أنني قد وجدت ضالتي أيضًا.

***

عادت الحياة لجزيرة العملاق "أديل ما" بعدما طعن غيث في قرار اللجنة وجعل الضابط يرى بنفسه اكتمال عدد الأطفال وسلامتهم بالجزيرة. عادت الضالة الناقصة، وتم زواج العملاق "أديل ما" من الملكة "آشِري ما" حبيبته وصديقته وتوأم روحه الأولى. وعاشت قبيلة الرومانيو وزوجاتهم بين الجزيرتين واقتربت الملكة من "ليا" وجمعتهم صداقة قوية بعدما عرفت بقصتها مع العملاق. وتعلق الجميع بها كما تعلقوا بالعملاق من قبل، واكتملت المشاعر الناقصة لدى الجميع، حيث

امتلكوا أفضل أب روحي، وأجمل أم مبهرة مثل اسمها "آشِري ما" الذي يعني "الفتاة الجميلة".

.....تمت بحمد الله.....

بتاريخ 2024/05/12

لقد أنتهت الرحلة يا رفاق، آراكم برحلة جديدة من نوعها في روايتي الجديدة "ضد الرجال"

گ/شهيرة عبد الحميد

آشري ما

الجزء الثاني من أديل ما

التعريف بالكاتبة

الاسم: شهيرة عبد الحميد أحمد مواليد

القاهرة 1998.

كاتبة روائية لدى منصات إلكترونية.

من أعمالها:

١_لعنة مصر القديمة .

٢_العملاق أديل ما (جزئين).

٣_ضد الرجال.

٤_ الثانية عشر بتوقيت شوكي.

ستجدون جروبها على فيسبوك بإسم

"رشحلي رواية".